ظاهرة الزواج غير الشرعي وأثرها على مملكة بيت المقدس الصليبية (1113– 1198م)

The phenomenon of illegitimate marriage and its impact on the Crusader kingdom of Jerusalem (1113 -1198 A.D)

د/ ياسر كامل محمود أحمد – مدرس تاريخ العصور الوسطى– كلية الآداب – جامعة الوادي الجديد

Abstract: This research aims at uncovering a negative phenomenon that spread within the Crusader society which had an effect on the disintegration of the Crusader entity from within. This phenomenon is the Illegitimate marriage in the Kingdom of Jerusalem during the period of 1113 AD, the year that witnessed the first Illegitimate marriage within the Kingdom. Even 1198 AD Which witnessed the last illegal marriages within the nominal Kingdom. The study seeks to explain the phenomenon of Illegitimate marriage, find out the causes of its appearance, and its spread among the kings, queens, princes and princesses of Jerusalem, and discuss the position of the Church of that phenomenon, as well as monitoring the impact of this phenomenon on the Crusader Kingdom during the period under consideration.

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن ظاهرة سلبية انتشرت داخل المجتمع الصليبي كان لها أثرها في تفكك الكيان الصليبي من الداخل، وهي ظاهرة الزواج غير الشرعي في مملكة بيت المقدس خلال الفترة من سنة 1113م وهي السنة التي شهدت أول زيجة غير شرعية داخل المملكة، وحتى سنة 1198م والتي شهدت آخر الزيجات غير الشرعية داخل المملكة الأسمية. وتسعى الدراسة لتفسير ظاهرة الزواج غير الشرعي، ومعرفة أسباب ظهورها، وتفشيها بين ملوك وملكات وأمراء وأميرات بيت المقدس، ومناقشة موقف الكنيسة من تلك الظاهرة، وكذلك رصد أثر تلك الظاهرة على المملكة الصليبية خلال الفترة قيد البحث.

والواقع أن المادة التاريخية التي أمكن التوصل إليها في هذا الصدد من خلال المصادر الغربية والشرقية ليست بالغزيرة، فالكُتاب المعاصرين الذين اعتمدت عليهم الدراسة، لم يكونوا ببساطة مهتمين بمتابعة مثل تلك الظواهر الاجتماعية، وقد مثَّلت هذه الإشكالية إحدى مشكلات الدراسة، ولا يعني هذا أننا لا نملك شواهد تاريخية عن تلك الظاهرة، بل هناك شواهد وإشارات تاريخية نقلتها المصادر المعاصرة، ولكن تتمثل المشكلة في أنها تُروى في سياق قصصي، دونما استمرارية، وكثيرًا ما تتناقض مع بعضها البعض – بل إنها تتناقض مع نفسها أحيانًا، وقد مثلت تلك مشكلة أخرى. فضلًا عن تناثر تلك المادة بين ثنايا المصادر مما يستلزم جهدًا في جمعها وتبويبها.

أما عن حظ الموضوع من الدراسة فلا توجد دراسة عربية أو أجنبية تناولت هذا الموضوع –على حد علم الباحث– وإنما وجدت دراسات قريبة من موضوع هذا البحث أمكن الإفادة منها والبناء عليها. فقد قدم أ.د/ إبراهيم خميس إبراهيم سلامه دراسة قيّمة بعنوان "أهم الزيجات السياسية عند الصليبيين في القرن الثاني عشر الميلادي/السادس الهجري. ولا نغفل كذلك أهمية جهد أ.د/ أسامه زكي زيد في دراسته المهمة عن ملكات بيت المقدس في القرن الثاني عشر الميلادي/ القرن السادس الهجري والتي نشرها بمجلة كلية الآداب جامعة طنطا في العدد الثامن، عام 1995م. كذلك هناك دراسة قدمتها د. سهير المليجي عن المرأة الصليبية في بلاد الشام (1098–1268م)، وهي رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية البنات– جامعة عين شمس عام 2002م . ومن الدراسات المهمة أيضًا دراسة د. هاني مهدي راتب زحير: "الزيجات السياسية لدى الصليبيين في بلاد الشام وأطراف العراق وأثرها على الحركة الصليبية في الشرق"، رسالة ماجستير، كلية الآداب – جامعة عين شمس عام 2004م.

هذا عن الدراسات العربية، أما الدراسات الأجنبية فنذكر منها دراسة ديفيد باركر: **Barker D.**, "**Women in The Crusader States: The Queens of Jerusalem 1100–1190**)", **In : Crusaders, Cathars and The Holy Places, ed. By Hamilton P., Ashgate Publishing 2000, pp.143–174.** ودراسة ديفيد دي أفري: **David L. D' Avray, Medieval Marriage Symbolism and Society** (**Oxford 2005**)، ودراسة هيلي لاهتيلا: **Heli Lähteelä, Unwanted Husbands and Adultery: Medieval Marriage in the Twelfth–Century Tristan and Isolde Legend, thesis submitted in partial fulfillment of the requirements of the degree of Bachelor of Arts (Hons) in History, University of Sydney 2006**).

ومن المهم هنا الإشارة إلى أن الدراسات القيّمة السابقة لم تتناول موضوع الزيجات غير الشرعية في مملكة بيت المقدس كموضوع مستقل، بل تناولت موضوع المرأة والزواج بوجه عام. الأمر الذي دفع الباحث إلى تخصيص دراسة مستقلة تتناول هذه النقطة البحثية الدقيقة.

يُعدّ الزواج اللبنة الأولى في بناء الأسرة التي هي بدورها الوحدة الأساسية في تكوين المجتمع، ولم يكن الزواج في المفهوم المسيحي يجمع فقط بين فردين، بل كان يجمع بصورة أوسع بين عائلتين، فمنذ اللحظة الأولى لإتمام الزواج تتغير العلاقة بين الرجل والمرأة، بحيث يُصبحا وفقًا للمفهوم المسيحي "لحمًا واحدًا"[1]، وتصبح عائلاتهما مرتبطتان بعلاقات اجتماعية واقتصادية وأحيانًا سياسية، خاصة إذا كانت علاقة المصاهرة على مستوى الطبقة الأرستقراطية الحاكمة، كذلك ترتبط الذرية الناتجة عن هذا الزواج مع عائلتيّ أبيهم وأمهم برابطة الدم والإرث، وعلى ذلك كان الزواج بمثابة مؤسسة اجتماعية تعمل تحت إطار علاقة من الحميمية والتضامن، ولا تمس فقط طرفي العلاقة الزوجية بل تشمل أيضا عائلاتهما[2].

ونظرًا للأهمية الاجتماعية الكبيرة للزواج وما يترتب عليه من روابط اقتصادية وسياسية تجمع بين عائلات بأكملها، حرصت الدولة والكنيسة معًا على أن تظل مؤسسة الزواج تحت رقابتها[3]. واهتمت الكنيسة –على وجه الخصوص– بتنظيم عمليات الزواج، وإقامة حد فاصل بين الزيجات الشرعية وغير الشرعية وفق أسس ثابتة وقويمة [4] . وذكر قانونها ثبتًا طويلًا من "موانع الزواج"، أمكن رصده في المجموعات القانونية الكنسية كمجموعة جراتيان القانونية **Gratian's Decretals** ، وقوانين مملكة بيت المقدس، وغيرها[5] .

([1]) عبدالعزيز رمضان: المرأة والمجتمع في الإمبراطورية البيزنطية، مصر العربية للنشر والتوزيع، ط.القاهرة 2005م، ص139. وللمزيد انظر:

David L. D' Avray, Medieval Marriage Symbolism and Society (Oxford 2005), p.176 ; Heli Lähteelä, Unwanted Husbands and Adultery: Medieval Marriage in the Twelfth-Century Tristan and Isolde Legend, thesis submitted in partial fulfillment of the requirements of the degree of Bachelor of Arts (Hons) in History, (University of Sydney 2006), p.13.

([2]) عبدالعزيز رمضان: المرأة والمجتمع، ص139.

([3]) عبدالعزيز رمضان: المرأة والمجتمع، ص139.

منذ بداية التاريخ البيزنطي، وحتى نهاية القرن التاسع كان الزواج يعد شرعيًّا تمامًا إذا تم إبرامه طبقًا للقانون المدني، ولم يكن تدخل الكنيسة ضروريًا، لكن مع عصر الإمبراطور البيزنطي ليو السادس **Ieo VI** (886–912م) أصبحت مشاركة الكنيسة في طقوس الزواج شرطًا لازمًا لصحته، واكتسبت هذه المشاركة قوة القانون في التشريع 89 للإمبراطور ليو السادس والذي نص على "أن الزيجات لابد أن يتم تأكيدها بواسطة مباركة مقدسة، بحيث أنه إذا لم يرغب طرفا الزواج في تسوية ارتباطهما بهذه الصورة، فإن زواجهما لن يكون صحيحًا منذ البداية"، ومنذ ذلك الحين أصبح دور الكنيسة أساسيًا في الإشراف على الزواج، مع استمرار اشتراك الدولة ممثلة في شخص الإمبراطور، الذي ظل محتفظًا بحق إصدار التشريعات. لمزيد من التفاصيل عن دور الدولة والكنيسة في الزواج، انظر: عبدالعزيز رمضان: المرأة والمجتمع، ص139 هامش2.

([4]) جعلت الكنيسة الزواج السر السادس من أسرارها السبعة المقدسة، ويُعرّف الزواج في المسيحية بإنه: "سر يتم به اتحاد رجل وإمرأة تحل له شرعًا، ليتعاونا على الحياة الزوجية، وإنجاب الأولاد وتربيتهم، وحمل أعباء العائلة، وتتفق الطوائف

فكان يجب أن يكون كلا الطرفين غير مقيد برباط زواج سابق، أو بنذر قَطَعَهُ على نفسه أن يظل بغير زواج، وكان الزواج بمن لم يُعَّمد يعد مُحرّمًا. كما منعت القوانين الكنسية الزواج بين طرفين تربطهما صلة قرابة[6] ، سواء كانت قرابة طبيعية[7] أو قرابة روحية[8] أو قرابة وضعية[9]، أو قرابة زوجية[10]، كذلك وضعت الكنيسة

المسيحية على أن الله هو الذي أنشأ الزواج حيث جاء في الكتاءب المقدس: وقال الرب الإله: "أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض. وقال الرب أيضًا: " لا يحسن أن يكون الإنسان وحده فأصنع له معينًا إزائه، فأوقع الرب سُباتا على آدم فقام واستل أحد أضلاعه، وسد مكانهما بلحم، وبنى الإله الرب الضلع الذي أخذها من آدم فأتى بها إلى آدم ...". وعلى ذلك فإن للزيجة غايتان، الغاية الأولى هي نمو النوع البشري وحفظه بالتناسل حسب الأمر الإلهي "أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض"، والغاية الثانية هي التعاون والتعاضد ومساعدة كل من الزوجين للآخر وفقًا لقول الرب: "ليس جيدا أن يكون آدم وحده. فأصنع له معينًا نظيره". انظر: شرل ابيلا اليسوعي: الزواج تبعًا للرسالة البابوية Caslt Comubii بحث أخلاقي لاهوتي، مجلة المشرق الكاثوليكية، السنة الثلاثون ، بيروت 1932م، ص 512–514؛ حبيب جرجس: أسرار الكنيسة السبعة، مكتبة المحبة، الطبعة الرابعة، القاهرة ، ب–ت، ص18، 130–132.

(5) Heli Lähteelä, Unwanted Husbands and Adultery: Medieval Marriage in the Twelfth–Century Tristan and Isolde Legend, p.13.

وعن قوانين جراتيان المتعلقة بالزواج. انظر:

Emilie Amt, Women's Lives in Medieval Europe. A Sourcebook. (New York–London: Routledge, 1993), p.36. Source: trans. E. Amt from *Corpus Juris Canonici*, ed. E. Friedberg (1959).

وعن قوانين بيت المقدس انظر:

philippe de Navarre, Assises de Jérusalem, in R.H.C., ed. Beugnot, Tom., I, (Paris 1841) ; Livre au Roi, Assises de Jerusalem, 2 vol. (Paris 1841–1842) ; James A. Brundage, "Marriage Law in the Latin Kingdom of Jerusalem" in: The Crusades, Holy War, and Canon law, ed., James A. Brundage, Routledge; 1 edition (USA 1991).

([6]) ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. القاهرة2001م، مج16، ص183.

([7]) القرابة الطبيعية، ويقصد بهم الأقارب المستعلون، الآباء والأجداد فصاعدًا، والمستسفلون وهم الأولاد، وأولاد الأولاد مهما نزلوا، والذين من الجانب، وهم الأخوة، والأخوات، ونسلهم، والأعمام، والعمات، والأخوال، والخالات (دون نسلهم). انظر: الايغومانوس فيلوساوس: الخلاصة القانونية في الأحوال الشخصية، مطبعة التوفيق، ط.القاهرة 1896م، ص12.

موانع شخصية، تتعلق بكل ما يمنع من الاجتماع التناسلي، فلا يجوز تزويج الخنثى، والخصي، والمجنون، والمصاب بالجذام والبرص، فإذا جرى تزويج أي حالة من الحالات السابقة أضحى الزواج غير شرعي ولا يعول عليه[11].

كذلك اعتبرت الكنيسة الزواج القائم بين مسيحي وامرأة تعتقد في دين آخر والعكس زواجًا غير شرعي، وأباحت في حالة ذلك الإنفصال بين الزوجين[12]، كما اعتبرت الزواج القائم على عدم رضى الطرفين

حرّمت القوانين الكنيسة الزواج بين الأقارب حتى الدرجة السابعة – أي لا يكون للطرفين جد مشترك في سبع أجيال– حسبما ورد ضمن قرارات مجمع كليرمونت بفرنسا سنة 1095م، وفي مجمع اللاتيران الرابع المنعقد تحت رئاسة البابا أنوسنت الثالث سنة 1215م، تم تقليص درجة القرابة الطبيعية لتكون حتى الدرجة الرابعة، بدلًا من السابعة. انظر:

Roger of Wendover , The flower of history (London, H. G. Bohn , Toronto 1849), Vol . 1, p. 375. ; Women's Lives in Medieval Europe, pp.38–39.

ولمزيد من التفصيل انظر:

H. J. Schroeder, Disciplinary Decrees of the General Councils (St. Louis, MO and London: B. Herder Book Co., 1937).

([8]) القرابة الروحية، وهم أشابين العماد الذين يقتبلون أطفالًا وقت عمادهم وبذلك تصير لهم مع أولئك قرابة روحية مانعة عن الزواج. انظر: الايغومانوس فيلوساوس: الخلاصة القانونية ص12–13.

([9]) القرابة الوضعية: يقصد بها قرابة الرضاعة، فلا يتزوج أحد بمن أرضعته أمه ارضاعًا تامًا كوالدة لولدها ولا بأولاده ولا بأبنائه وكذلك لا يتزوج الرجل بزوجة من تبنى به ولا المرأة بزوج التي ربتها. انظر: الايغومانوس فيلوساوس: الخلاصة القانونية، ص12–13.

([10]) القرابة الزوجية، وهم قرائب الزوجة والمقصود بهن بنتها ونسل أولادهما وأختها ونسل أختها وأخواتها وعمتها وزوجة عمها وخالتها وزوجة خالها وأمها وزوجة أبيها وجدتها وزوجة جدها ثم زوجة الوالد ونسلها وأختها وأمها وجدتها ثم أخت زوج الأم وزوجة الابن ونسلها وأختها وأمها وجدتها ثم زوجة الأخ ونسلها وأمها وجدتها ثم زوجة العم وزوجة الخال كل هذه القرابة مانعة وما حرم منها على الرجل فمثله محرّم على زوجته، فلا يجوز للمرأة المترملة أن تتزوج بابن زوجها ونسل أولاده وأخيه ونسل أخوته وعمه، ولا بزوج عمتها وخالها وزوج خالتها، ولا بأبيها وزوج أمها وجدها، ولا بأخ زوجة الوالد، ولا بزوج ابنتها ونسله وأبيه وجده، ولا بزوج العمة وزوج الخالة. انظر: الايغومانوس فيلوساوس: الخلاصة القانونية، ص12–13.

([11]) الايغومانوس فيلوساوس: الخلاصة القانونية، ص12. وانظر:

Emilie Amt, Women's Lives in Medieval Europe, pp.38.

([12]) ؛ **Livre au Roi, Assises de Jerusalem, II, p. 107 ; James A. Brundage, "Marriage Law in the Latin Kingdom of Jerusalem", pp. 262–263.**

وانظر: الايغومانوس فيلوساوس: الخلاصة القانونية، ص14.

أيضًا زواجًا غير شرعي[13]. كذلك رأت الكنيسة عدم مشروعية الزواج إذا ما ثَبُتَ على الزوجة وقوعها في جريمة الزنا، ورخّصت للزوج الإنفصال عنها، كذلك فإن الزواج ينتفي إذا ما دخل أحد الطرفين في الرهبنة طوعًا[14]. كما عدّت الكنيسة الاقتران بأرملة لم تنقضِ على مدة حزنها عشرة شهور زواجًا غير شرعي[15].

إذا كانت السطور السابقة قد حددت الإطار العام لمشروعية الزواج في المسيحية بوجه عام؛ فإنه لا ينبغي اغفال حقيقة مهمة، وهي أن التاريخ هو تاريخ الأفعال والممارسات على أرض الواقع لا تاريخ النصوص والتشريعات والأفكار، أو بمعنى آخر أن الفعاليات البشرية هي التي تصنع التاريخ. ومن هذا المنطلق يمكن أن نطرح سؤالًا، إلى أي مدى كان المجتمع الصليبي يصغى في الواقع لقواعد الكنيسة المنظمة لعملية المصاهرة والزواج تلك؟ الإجابة تأتي من خلال عرض حالات الزواج غير الشرعي التي أمكن للدراسة رصدها داخل المملكة الصليبية.

زواج الملك بلدوين الأول من الكونتيسة أديلاد

برغم قوانين الكنيسة التي تُحرّم الزواج المبني على أسس غير شرعية، فقد وُجِدَتْ بمملكة بيت المقدس الصليبية حالات عدة لزيجات غير شرعية بين ملوك وملكات بيت المقدس، يأتي في مقدمتها حالة زواج الملك بلدوين الأول **Baldwin I** (1100–1118م) [16] من أديلاد **Adelaid**[17] كونتيسة صقلية وأرملة

أود الإشارة إلى أنه لن يدخل ضمن نطاق البحث الزيجات التي كانت تتم بين زوجين مختلفين في المذهب. فالمعروف أن الكنيسة الأرثوذكسية كانت تطالب رعاياها دائما بأن يكون الزوجان ليس فقط على الدين نفسه وحسب وإنما على المذهب نفسه، لذلك كان يعد الزواج بين البيزنطيين وغيرهم من المخالفين لهم في المذهب زواجًا غير شرعي. وفي القرار الرابع عشر لمجمع خلقدونية المنعقد سنة 451م. حرّم على المسيحي الأرثوذكسي أن يعقد "زواج مع امرأة هرطيقة". وفي القرن الثاني عشر قرر عالم اللاهوت والقانوني ثيودور بالزامون **Theodore Balsamon**: "أن النساء الأرثوذكسيات اللاتي يتزوجن من رجال هراطقة يجب أن يُقطعن فورًا من الكنيسة". للمزيد انظر: إسمت غنيم: "زواج التحالف في العصور الوسطى"، ضمن كتاب: دراسات في تاريخ إمبراطورية نيقية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1991م، ص224.

(13) **Emilie Amt, Women's Lives in Medieval Europe, p.36.**

(14) **Emilie Amt, Women's Lives in Medieval Europe, pp.36–37.**

وانظر: الايغومانوس فيلوساوس: الخلاصة القانونية، ص13.

(15) الايغومانوس فيلوساوس: الخلاصة القانونية، ص14.

(16) بلدوين الأول: هو الابن الثالث ليوستاس الثاني كونت بولوني **Eustace II Count of Boulogne**، وايدا أوف بولوني **Ida of Boulogne** ، ولد ما بين عامي 1061م، 1070م، يصفه وليم الصوري بإنه كان عملاقًا فارع الطول، ضخم الجثة، أبيض البشرة، وقورًا لدرجة تبعث على الظن أنه كان من رجال الدين أكثر من كونه علمانيًا، غير أنه كان لا يستطيع كبح شهوات البدن، ولم يكن يعرف بعاداته الفاجرة سوى نفر قليل من خاصته. هذا عن مولده وصفاته ، أما عن دوره في الحركة الصليبية فقد صاحب أخوه جودفري البولوني في الحملة الصليبية الأولى، تولى كونتية الرها (1097–1100م)، ولما مات أخوه سنة 1100م، أُستدعى ليحل محله فى حكم المملكة، فكان أول من

الملك روجر الأول Roger I (1061–1101م)[18]، وتعد تلك الحالة من أوائل الزيجات غير الشرعية داخل المملكة الصليبية. فعندما تزوج بلدوين من أديلاد في صيف عام 1113م/507هـ ، كانت أردا الأرمينية Arda[19] الزوجة الأولى للملك بلدوين الأول لا تزال على قيد الحياة بالقسطنطينية، ولم تكن قد انفصلت عنه، ولما كانت القوانين الكنسية تُحرّم اتخاذ الزوج زوجة ثانية مادام الزواج الأول قائمًا لم ينفصل[20]، فإن زواج الملك بلدوين الأول من أديلاد يعد زواجًا غير شرعي من وجهة النظر الكنسية.

فالواقع؛ أن الملك بلدوين الأول كان قد تزوج من أردا الأرمينية [21] سنة 1098م/491هـ عندما كان حاكمًا لإمارة الرها الصليبية، وكان بلدوين الأول وقتها بحاجة إلى المال لتوسيع رقعة مملكته الوليدة، فوفقًا

حمل لقب ملك. ويعد بلدوين الأول المؤسس الحقيقي لمملكة بيت المقدس والتي استمرت تحت حكمه منذ سنة 1100م وحتى وفاته سنة 1118م. انظر: فوشيه الشارتري: الإستيطان الصليبي في فلسطين، ترجمة ودراسة وتعليق: قاسم عبده قاسم، ط.1، دار الشروق، القاهرة 2001م، ص173؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، ترجمة: حسن حبشي،4 أجزاء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط.القاهرة 1991–1995م، ج2، ص194–195؛ مُحَمَّد مؤنس عوض: معجم أعلام عصر الحروب الصليبية في الشرق والغرب، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى ، القاهرة 2015م، ص362. وللمزيد عنه انظر: هنادي السيد محمود: مملكة بيت المقدس الصليبية فى عهد الملك بلدوين الأول (1100494–512هـ/1100– 1118م)، دار العالم العربي، ط. القاهرة 2008م؛ مصطفى الكناني: حملة بلدوين الأول 1118م أول حملة صليبية على مصر، القاهرة ب.ت.

([17]) تزوجت أديلاد من روجر الأول حاكم صقلية عام 1089م واستمرت معه حتى وفاته عام 1101م، وأنجبت منه ولدين، سيمون Simone عام 1093م، وروجر الثاني Roger II عام 1095م، ولما مات الإبن الأكبر في الثانية عشر من عمره انفردت الأم الأرملة بحكم صقلية كوصية على ابنها روجر الثاني لحين بلوغه السن القانوني لتولي أعباء الحكم. انظر: فوشيه الشارتري: الإستيطان الصليبي في فلسطين، ص224؛ أسامه زكي زيد: ملكات بيت المقدس في القرن الثاني عشر الميلادي القرن السادس الهجري، العدد (8)، مجلة كلية الآداب–جامعة طنطا، القاهرة 1995م، ص25، هامش (3).

([18]) روجر الأول: هو الابن الأصغر لتانكريد أوف هوتفيل Tancred of Hauteville، هاجم جزيرة صقلية وانتزعها من أيدي المسلمين وتولى حكمها خلال الفترة (1061–1101م). انظر: مُحَمَّد مؤنس عوض: معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص409.

([19]) أردا الأرمينية: كانت هي الوريثة الوحيدة لعرش أبيها ثوروس حاكم أرمينيا، تزوجت من الملك بلدوين الأول سنة 1098م، عندما كان حاكمًا لإمارة الرها الصليبية. انظر: وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج2، ص194؛ أسامه زكي زيد: ملكات بيت المقدس، ص22.

([20]) تُحرّم المسيحية الجمع بين زوجتين، والأدلة على ذلك كثيرة، منها ما قاله القديس بولس: " فحسن للرجل أن لا يمس امرأة. ولكن السبب الزنا، ليكن لكل واحد امرأته، وليكن لكل واحدة رجلها"، وقد جاء في كتاب الخلاصة القانونية للأحوال الشخصية ما يلي: "إن الرجل الذي يقدم على الزيجة مع وجود زوجة له على قيد الحياة، يرتكب اثمًا فظيعًا فضلا عما يلحقه من عقاب..". انظر: رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس 7: 2 ؛ الايغومانوس فيلوساوس: الخلاصة القانونية، ص36.

([21]) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج2، ص 194، 239.

لقسيسه وكاتب سيرته فوشيه دي شارتر، فإن الملك كان فقيرًا "يمتلك مدنًا قليلة وشعبًا صغيرًا"[22]، ومن ثم كان غرض هذه الزيجة هو خدمة أهداف الملك بلدوين الأول السياسية والإقتصادية، فمن ناحية يضمن الولاء التام له من جانب الأرمن الذين تغلغلوا آنذاك في إمارة الرها، بحيث يصبح العنصران الصليبي والأرمني معًا في وحدة واحدة يضمن بها استقرار الأمور في إمارته، ومن ناحية أخرى يمتص الملك أموال زوجته الأرمينية أردا. وبناءً على ذلك تمت الزيجة وفق هذا الغرض، وبعد أن حقق الملك بلدوين الأول هدفيه السياسي والإقتصادي قام بإبعاد زوجته أردا وفكر في الإقتران بأخرى[23].

وقد اختلف المؤرخون حول أسباب انفصال الملك بلدوين الأول عن زوجته الشرعية أردا. فالمؤرخ المعاصر جيوبيرت أوف نوجنت **Guibert of Nogent** ذكر أن مجموعة من القراصنة هاجموا سفينة الملكة أردا وهي في طريقها إلى يافا للحاق بزوجها الذي كان قد سبقها إلى مملكة بيت المقدس لتَسلُم حُكمها خلفًا لأخيه الراحل جودفري دي بوايون **Godfrey de Bouillon** (1099–1100م) [24]، وأن الملكة تعرضت للاغتصاب من قِبَلْ هؤلاء القراصنة، الأمر الذي دفع بالملك بلدوين الأول إلى إيداعها في أحد الأديرة[25]، أما المؤرخ وليم الصوري[26] والذي تشوب روايته التناقض فروى سببين للانفصال، أولهما: أن الملك أبعد زوجته الأرمينية ليتزوج من أخرى أكثر منها مالًا وأرفع مكانة، وبذلك يستطيع من خلال مالها انقاذ نفسه من الفقر الذي كان يُحيط به. وثانيهما: أن الملكة أردا لم تكن زوجة عفيفة، وإنما كانت متهاونة في مراعاة روابط الزوجية الأمر الذي أثار غضب زوجها، ورغبة منه في ردّها إلى رحاب الدين، أجبرها على أن تترهبن في دير

([22]) فوشيه الشارتري: الإستيطان الصليبي، ص166. وانظر: مُحَمَّد مؤنس عوض: الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط.1، القاهرة 1999/2000م، ص97.

([23]) سعيد عبدالفتاح عاشور: الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى، ط.2، مكتبة الأنجلو المصرية 1971م، ج1، ص 235؛ أسامه زكي زيد: ملكات بيت المقدس، ص22–23؛ هنادي السيد محمود: مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الأول، ص165.

([24]) جودفري البولوني: هو الابن الثاني ليوستاس الثاني كونت بولوني **Eustace II Count of Boulogne**، وايدا أوف بولوني **Ida of Boulogne** ، شارك في الحملة الصليبية الأولى وكان أحد قادتها البارزين. تم اختياره حاكما لمملكة بيت المقدس عقب سقوطها في أيدي الصليبيين سنة 1099م وظل حاكما للمملكة حتى وفاته سنة 1100م. انظر: مُحَمَّد مؤنس عوض: معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص3880389. وللمزيد عنه انظر: سرور علي عبدالمنعم: جودفري دي بويون حاكمًا للكيان الصليبي (1099–1100م)، مجلة بحوث الشرق الأوسط، عدد (24)، عام 2004م، ص229–279. وانظر أيضًا:

P. Aube, Godfroy de Bouillon, (Paris 1985).

([25]) **Guibert of Nogent, The Deeds of God through the Franks, Blackmask Online 2002, p.99.**

وانظر: أسامه زكي زيد: ملكات بيت المقدس، ص24.

([26]) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج2، ص 258–259.

القديسة حنة[27]، ويستطرد وليم الصوري فيذكر أنه بعد أن عاشت أردا في ذلك الدير حياة شريفة، احتالت على الملك بلدوين الأول فأرسلت إليه تستأذنه في مغادرة الدير لزيارة بعض ذوي قرباها المقيمين في القسطنطينية، ووعدته بالحصول على مال تبذله لانقاذ مملكة بيت المقدس من الفقر المدقع، فأذن لها الملك وغادرت بهذه الحجة، غير أنها لم تلبث أن "خلعت ثوب الطهر والعفاف وأسلمت نفسها لحياة داعرة" حسب وصف وليم الصوري[28].

في هذا الصدد يمكن قبول السبب الأول الذي أورده وليم الصوري، وهو رغبة بلدوين الأول في الانفصال عن زوجته الأرمينية طمعًا في الزواج من أخرى أكثر ثراءً. في حين لا يمكن قبول السبب الثاني المتعلق باتهام أردا بجريمة الزنا، ولا قبول رواية المؤرخ جيوبرت من نوجنت المتعلقة بحادثة الاغتصاب. وذلك لعدة أسباب، أولها: أن وليم الصوري حين اتهم أردا بالوقوع في جريمة الزنا بدأ حديثه بـ "يقول آخرون"، أي أنها مجرد أقاويل وشائعات، ولو كانت أردا قد وقعت بالفعل في الزنا وثَبُتَ عليها ذلك، لجاز للملك بلدوين الأول الانفصال عنها وفق مقتضيات القانون الكنسي الذي يقضي بالفصل بين الزوجين حال ثبوت وقوع الزوجة في جريمة الزنا[29]، كذلك فإن حديث جيوبرت من نوجنت عن حادثة اغتصاب أردا لا يوجد عليه دليل يؤكده، والثابت أن القول بوقوع أردا في الزنا كانت مجرد تدبير وإشاعة أُريد من وراءها إبطال زيجتها ليتمكن بلدوين الأول من الزواج بأخرى.

ثانيًا: في إشارة لاحقة للمؤرخ وليم الصوري ذكر أن الملك بلدوين الأول ارتكب جريمة تشجبها تعاليم الكنيسة في حق زوجته أردا حينما انفصل عنها، وانه استهان بحقوق الزوجية حين أرغمها وأجبرها على أن تترهبن في دير القديسة حنة "وهي لم تقترف جُرمًا ولم تقارف إثمًا" على حد وصفه[30]. وهي إشارة يُفهم منها براءة أردا من التهمة المنسوبة إليها، وتحميل الملك بلدوين الأول مسؤولية انفصاله عنها.

ثالثًا: بعد انفصال الملك بلدوين الأول عن زوجته غير الشرعية أديلاد سنة 1117م – حسبما سيأتي ذكره – ردّ الملك زوجته الشرعية أردا مرة أخرى إليه، فلو كانت أردا "عاهرة زانية" كما قيل ما كان للملك أن يردها إلي عصمته مرة أخرى[31].

وطالما أنه لا توجد أدلة قاطعة على عدم اخلاص الملكة أردا، فإن الباحث يتفق مع ما ذهب إليه أحد المؤرخين الحديثين في استبعاده لعامل الخيانة كسبب للانفصال[32]. والأرجح أن الأسباب التي دفعت بلدوين

([27]) دير القديسة حنة: يقع في الناحية الشرقية من بيت المقدس قرب باب "يهوشافاط". انظر: وليم الصوري، المصدر السابق، ج2، ص 258.

([28]) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج2، ص 258.

([29]) Emilie Amt, Women's Lives in Medieval Europe, p. 37.

وانظر: الايغومانوس فيلوساوس: الخلاصة القانونية، ص13

([30]) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج2، ص 258.

([31]) أسامه زكي زيد: ملكات بيت المقدس، ص24.

([32]) أسامه زكي زيد: ملكات بيت المقدس، ص25.

الأول إلى الانفصال كانت شخصية واقتصادية أكثر منها روحية وأخلاقية. فإذا كان زواجه من أردا قد حقق له مزايا ومكاسب اقتصادية وسياسية عندما كان حاكمًا على إمارة الرها، فإن هذا الزواج لم يعد ذي نفع بعد أن أصبح ملكًا على بيت المقدس، كذلك لم يعد العنصر الأرمني يشكل له أي قلق أو خطورة على امتداد مملكة بيت المقدس، ولو أضفنا إلى ذلك أن الملك لم يتسلم من أبيها توروس **Toros**[33]، باقي المبلغ الذي كان قد وعد بدفعه له عند بداية زواجه منها والذي يقدر بثلاثة وخمسين ألف بيزنت، وأنه لم يكن له منها أولاد، أمكننا القول بارتياح أن الملك بلدوين الأول كان لديه من الأسباب والدوافع ما حمله على استبعاد أردا والسعي إلى الاقتران بزوجة أخرى أكثر ثراءً يضمن من خلالها دخلًا كبيرًا يساعده في الانفاق على مملكته[34].

تبقى زاوية مهمة تثير التساؤل تتعلق بأسباب اجبار الملك بلدوين الأول لزوجته الشرعية أردا على الدخول في سلك الرهبنة حسبما أورد وليم الصوري.

واقع الأمر؛ أن القوانين الكنسية كانت تنص على أنه في حالة ترهبن الرجل أو المرأة طوعًا، يقع الانفصال، وبالتالي يصبح الطرف الآخر حرًا في الزواج مرة أخرى[35]. والراجح أن بلدوين الأول حاول الإفادة من هذا القانون في تحقيق غرضه بالانفصال عن زوجته فاحتال عليها باجبارها على الدخول في سلك الرهبنة وبذلك يقع الانفصال بين الزوجين من وجهة النظر الكنسية. ولاتمام هذه المهمة أضفى الملك بلدوين الأول على كنيسة بيت لحم وأسقفها كثيرًا من الإمتيازات والنعم، فرفع الكنيسة إلى مرتبة الأسقفية، وردًا لذلك الجميل باتت الكنيسة تدعمه في قراراته، الأمر الذي سهّل عليه إجبار أردا على الترهبن. غير أن أردا كانت من الذكاء ما جعلها تفسد على الملك تدبيره حينما طلبت منه أن يسمح لها بزيارة أهلها، وهربت من الدير إلى القسطنطينية، فأصبحت من الناحية القانونية لا تزال زوجة شرعية له[36].

على أية حال؛ ففي الوقت الذي جرت فيه تلك الأحداث، كان الملك بلدوين الأول يُعد العدة للزواج من الكونتيسة أديلاد، ورغم وضوح عدم شرعية هذه الزيجة، إلا أننا لم نجد أي صدى لمعارضتها لدى رجال الدين، ويأتي على رأس هؤلاء فوشيه دي شارتر قسيس الملك بلدوين الأول وكاتبه وشاهد العيان على تلك الزيجة، والتي جاءت روايته في هذا الشأن مقتضبة ومخيبة للآمال، فقد تحدث في أربعة أسطر فقط عن وصول

([33]) توروس الرهاوي: أرميني حكم مدينة الرها نيابة عن الإمبراطورية البيزنطية، ويبدو أنه كان مكروها من رعيته، بسبب فرض الضرائب الباهظة عليهم، الأمر الذي دفعه في عام **1098**م لطلب عون بلدوين البولوني، الذي كان قد وصل إلى الشرق على رأس أحد جيوش الحملة الصليبية الأولى، والثابت أنه زوجه من ابنته أردا وقبله شريكًا في الحكم، ثم اندلعت ثورة أطاحت بتوروس، وتم اغتياله أثناء فراره، وانفرد بلدوين البولوني بحكم إمارة الرها لتكون أول إمارة صليبية يُؤسسها الصليبيون على ثرى التراب العربي. انظر: مُحَمَّد مؤنس عوض: معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص**601–602**.

([34]) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج**1**، ص**235**؛ أسامه زكي زيد: ملكات بيت المقدس، ص**25**.

([35]) **Emilie Amt, Women's Lives in Medieval Europe, p.36.**

وانظر: الايغومانوس فيلوساوس: الخلاصة القانونية، ص**13**.

([36]) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج**1**، ص**236**؛ هنادي السيد محمود: مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الأول، ص**166**.

الكونتيسة أديلاد ميناء عكا لتصبح زوجة لبلدوين الأول ! [37]، ولا شك أن فوشيه كان يعلم لكونه رجل دين من ناحية، ولقربه من الملك بلدوين الأول من ناحية أخرى أن زواج مليكه من أديلاد زواجًا غير شرعي، والثابت أن صِلَته تلك جعلته لا يخوض في ملابسات هذا الزواج والحديث عن حرمانيته، ارضاءً لسيده حتى لو كانت زيجته تلك غير شرعية وتحرمها الكنيسة.

لم يكن فوشيه دي شارتر رجل الدين الوحيد الذي أبدى موافقة غير معلنة عن تلك الزيجة غير الشرعية، فرأس الكنيسة وبطريركها وهو البطريرك أرنولف مالكورن **Arnulf of Malecorn** [38] كان أحد الذين ساندوا الملك بلدوين الأول في الزواج من أديلاد وهو يعلم أنها مُحرّمة عليه شرعًا[39]. فابيعاز منه، أرسل الملك بلدوين الأول بسفارة إلى الكونتيسة أديلاد عام **1112**م تتألف من عدد من كبار نبلاء المملكة لدعوتها للزواج منه، وأبدت أديلاد موافقتها شريطة أن يوافق الملك بلدوين الأول على بعض الشروط وعلى رأسها أنه إذا ما أثمرت هذه الزيجة عن طفل يجب أن ينتقل إليه عرش مملكة بيت المقدس عندما يصبح مؤهلًا لذلك بعد وفاة الملك بلدوين الأول، وإذا لم تُثمر الزيجة عن أطفال ومات الملك دون وريث عندئذ يكون لابنها الكونت روجر الثاني الحق في حمل تاج المملكة. ولما كان الملك قد أوعز إلى مبعوثيه عند مغادرتهم المملكة أن يوافقوا على كل الشروط التي تتمسك بها الكونتيسة، ويسعوا بكافة السبل لإحضارها معهم أثناء عودتهم إلى

([37]) فوشيه الشارتري: الإستيطان الصليبي، ص**224**.

([38]) أرنولف مالكورن: قَدِمَ أرنولف من الغرب الأوربي مرافقًا للأمير روبرت النورماندي **Robert of Normandy**، حيث كان قسيسًا له. تولى رئاسة بطريركية مملكة بيت المقدس الصليبية سنة **1099**م خلفًا للبطريرك الأرثوذكسي الهارب سيمون **Simon**، ومع ذلك لم يُقدر له الاستمرار فى هذا المنصب، حيث اضطر مُكرها إلى التخلي عنه بدعوى أن انتخابه لم يكن متفقًا مع القانون الكنسي وظل المنصب شاغرًا لمدة خمسة أشهر حتى حل محله دايمبرت رئيس أساقفة بيزا **Daimbert of Pisa**، ثم عاد مرة أخرى لشغل رئاسة البطريريكة خلال الفترة من **1112**م وحتى وفاته سنة **1118**م. ويعد أرنولف من الشخصيات المثيرة للجدل. ففي الوقت الذي أجمع فيه كلا من ريموند أجيل ووليم الصوري على أنه كان صاحب سمعة سيئة؛ رأى فيه مؤلف الجيستا شخصية عاقلة شريفة. بينما لاذ المؤرخ فوشيه دي شارتر بالصمت فلم يذكر أدنى إشارة عنه. انظر: المؤرخ المجهول: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمه وقدم له وعلق عليه: حسن حبشي، دار الفكر العربي، القاهرة، د–ت، ص**120**؛ ريموند أجيل: تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، نقله إلى الانجليزية مع مقدمة وهوامش جون هيوم هيل ولوريتال هيل، نقله إلى العربية وعلق عليه حسين مُحَمَّد عطية، تقديم: جوزيف نسيم يوسف، دار المعرفة الجامعية، ط.الإسكندرية **1989**م، ص**258–259**؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج**2**، ص**144–145**؛ جوناثان ريلي– سميث: الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية، ت. مُحَمَّد فتحي الشاعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط**2**، القاهرة **1999**م، ص **151**.

([39]) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج**2**، ص **304–305** ؛ أسامه زكي زيد: ملكات بيت المقدس، ص**25**.
وانظر أيضًا:

Fink (H.), "The Foundation of The Latin States 1100–1118", in Setton. A History of the Crusades, vol. I, (Madison 1969), p. 406.

المملكة، فقد وافق المبعوثون على شروط أديلاد، نظرًا لحاجة الملك بلدوين الأول الماسة لمواجهة نفقات مملكته ودفع رواتب الجند[40] . وأبحرت العروس من صقلية متجهة إلى عكا في صيف عام 1113م في مشهد فخم، وكان في استقبالها الملك بلدوين الأول وحاشيته[41].

ويعلق مؤرخ المملكة وليم الصوري على هذه الزيجة فيقول: "وكان قد أحكم تدبير هذا المشروع البطريرك أرنولف خديعة منه لهذه السيدة الشريفة، إذ لا يستطيع أحد أن ينكر أنه قد غرر بها، لأنها ظنت لطيبة قلبها وصفاء نيتها أن الملك في وضع يجيز له شرعية الزواج منها، وهو أمر كان يبعد كل البعد عن الحقيقية؛ لأن زوجته التي كان قد عقد قرانه عليها عقدًا شرعيًا في الرها (يقصد أردا) كانت لا تزال حية ترزق"[42].

إذن يمكن القول إن تلك الزيجة تمت وفق مقتضيات لعبة سياسية هدفها الاستيلاء على أموال الكونتيسة الثرية، ولا يُستبعد أن يكون الملك بلدوين الأول قد اتفق مع البطريرك أرنولف على أن يساعده في إتمام تلك الزيجة حتى يمتص مال الزوجة، ثم يعود أرنولف مرة أخرى ويُحرّم هذا الزواج، وبذلك يكون الملك قد حقق هدفين، زواجه من سيدة صقلية واستيلائه على ممتلكاتها ومالها، ثم الانفصال عنها بدعوى أنها مُحرمة عليه شرعًا، قبل أن تحقق الكونتيسة وولدها الجالس على عرش صقلية حلمهما في امتلاك مملكة بيت المقدس.

وهكذا، تمت اللعبة السياسية بنجاح، فبعد زواج دام أربع سنوات عادت الكنيسة وعلى رأسها البطريرك أرنولف لتقول بأن زواج الملك بلدوين الأول من زوجته أديلاد زواجًا غير شرعي، نظرًا لوجود زوجته الأولى الأرمينية أردا على قيد الحياة، ويضيف لا مونت **La Monte** سببًا آخر للانفصال وهو وجود صلة قرابة بين الزوجين بدرجة تحرمها الكنيسة[43]، والواقع أن السبب الذي أورده لا مونت ليس هناك ما يؤكده، فلم تكن هناك قرابة بين بلدوين الأول وأديلاد، ولعله كان مجرد إدعاء من جانب الكنيسة تم اضافته إلى السبب الحقيقي في الانفصال وهو وجود الزوجة الأولى على قيد الحياة، وهو ما يكشف عن رغبة الكنيسة وكبار بارونات المملكة في ابطال تلك الزيجة.

([40]) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج2، ص 304–305؛ أسامه زكي زيد: ملكات بيت المقدس، ص25؛ إبراهيم خميس إبراهيم سلامه: "أهم الزيجات السياسية عند الصليبيين في القرن الثاني عشر الميلادي/السادس الهجري، ضمن كتاب محمود سعيد عمران وآخرون: دراسات في حضارة ونظم أوربا في العصور الوسطى، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية 2002م، ص386–387. انظر:

Fink (H.), "The Foundation of The Latin States, p.406.

([41]) عن تفاصيل مراسم زواج بلدوين الأول من أديلاد انظر: هنادي السيد محمود: مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الأول، ص167–168.

([42]) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج2، ص 305.

[43]) (**La Monte, J.L., Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem, Cambridge, The Mediaeval Academy of America, (1932, reprint: New York, Kraus 1970), p.7.**

حسب رواية فوشيه دي شارتر[44] فقد وقع الملك بلدوين الأول فريسة لمرض جسدي عضال بعد زواجه من أديلاد دون أن يُرزق منها بطفل، ولعل إحساسه بالذنب ووخز الضمير تجاه زوجته الشرعية أردا في لحظة ضعف أثناء مرضه، تلاقي مع رغبة البطريرك أرنولف الذي طلب من بلدوين الأول ضرورة تطليق أديلاد، واستجاب بلدوين لتلك المشورة فقام بتطليق أديلاد[45]. والتي أبحرت من فورها إلى صقلية في الخامس والعشرين من أبريل سنة 1117م، بعد أن "طردها الملك" حسب وصف فوشيه دي شارتر[46] لتموت بصقلية عقب سنة من طلاقها وتحديدا سنة 1118م، بعد أن بدّد الملك بلدوين الأول ثروتها[47].

على أية حال، فقد ألقت تلك الزيجة غير الشرعية ظلالًا قاتمة على مستقبل العلاقة بين المملكتين الصليبية والصقلية. فلم يغفر روجر الثاني Roger II (1130– 1154م) [48] ملك صقلية تلك الطعنة التي أصابت والدته الراحلة، فبعد وفاة الملك بلدوين الأول سنة 1118م طالب روجر بأحقيته في مملكة بيت المقدس وفق الشروط التي تعهد نبلاء المملكة بتنفيذها إبان عقد زواج أمه بالملك بلدوين الأول، ولم تنته مطالب روجر الثاني في أحقيته بمملكة بيت المقدس طيلة فترة حكم الملك بلدوين الثاني Baldwin II (1118–1131م)

---

(44) الاستيطان الصليبي، ص231، 234.

(45) Albert d' Aix, in R.H.C. Hist. T. IV, (Paris, 1879), P.704.

وانظر: سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج1، ص237؛ هاني مهدي راتب زحير: "الزيجات السياسية لدى الصليبيين في بلاد الشام وأطراف العراق وأثرها على الحركة الصليبية في الشرق"، رسالة ماجستير، كلية الآداب – جامعة عين شمس عام 2004م، ص47–48؛ هنادي السيد محمود: مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الأول، ص165.

(46) Albert d' Aix, Op. Cit., P.704.

وانظر: فوشيه الشارتري: الإستيطان الصليبي، ص234.

(47) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج2، ص 342؛ سرور علي عبدالمنعم: السياسية الداخلية والخارجية لمملكة بيت المقدس في عهد الملك فولك الأنجوي (1131–1143م/526–538هـ)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية البنات – جامعة عين شمس عام 2000م، ص174؛ هاني زحير: "الزيجات السياسية لدى الصليبيين"، ص48.

لم ينس المؤرخ وليم الصوري في سياق حديثه عن وفاة الكونتيسة أديلاد سنة 1118م أن يدلي بشهادته فأورد يقول: " وماتت كونتيسة صقلية التي عُرفت ذات مرة عند الناس بأنها زوجة الملك بلدوين الأول، وإن لم تكن شرعًا كذلك". وهي إشارة من مؤرخ نابه تُفصح بجلاء عن عدم شرعية زيجة بلدوين الأول بأديلاد. انظر: الحروب الصليبية، ج2، ص 342.

(48) روجر الثاني : ابن روجر الأول كونت صقلية، ولد سنة 1095م، تولى حكم مملكة صقلية خلفا لأخية سيمون سنة 1105م وظل حاكمًا لها حتى وفاته سنة 1154م. للمزيد عنه انظر:

Houben Hubert, Roger II of Sicily: a Ruler Between East and West. Cambridge, 1997; Barber Malcolm, The Two Cities: Medieval Europe 1050–1320, Routledge, 2004.

[49] ووريثه الملك فولك أوف أنجو **Fulk of Anjou** (1131–1143م) [50]، ومن جراء ذلك فقدت مملكة بيت المقدس صداقة كونتية صقلية وربما إلى الأبد[51].

([49]) بلدوين الثاني: هو بلدوين دي بورج **Baldwin de Bourg** ابن هيوج الأول أوف ريثل Hugh I Count of Rethel من زوجته مليسيند ابنة بوشارد أوف مونتيري **Melisende of Monthléry**، ولد سنة 1060م بفرنسا، تولى حكم إمارة أنطاكية خلفًا لابن عمه بلدوين الأول، وبعد وفاة الأخير سنة 1118م خلفه في حكم مملكة بيت المقدس وظل حاكما لها حتى وفاته سنة 1131م. انظر: مُحَمَّد مؤنس عوض: معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص366–367. وللمزيد عنه انظر صفاء عثمان: مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الثاني (1118–1131م)، ط. القاهرة 2008م.

([50]) فولك أوف أنجو: هو ابن فولك الرابع كونت أنجو، ولد سنة 1090م، تزوج من مليسيند ابنة الملك بلدوين الثاني، ولما مات الأخير سنة 1131م جرى تتويج فولك ملكًا لمملكة بيت المقدس، واستمر يحكم حتى وفاته فجأة سنة 1143م تاركًا ولدين هما بلدوين الثالث وعموري الأول. انظر: مُحَمَّد مؤنس عوض: معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص432–433. وعنه بالتفصيل انظر: سرور علي عبدالمنعم: السياسية الداخلية والخارجية لمملكة بيت المقدس في عهد الملك فولك الأنجوي (1131–1143م/526–538هـ)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية البنات –جامعة عين شمس عام 2000م. وانظر أيضًا:

H. Mayer, "Angevins Versus Normans: The New Men of king Fulk of Jerusalem. A.P.S., 133, 1989, pp.1–25.

([51]) أسامه زكي زيد: ملكات بيت المقدس، ص29؛ رحاب أحمد عبدالرشيد: مسألة وراثة عرش مملكة بيت المقدس الصليبية (1099–1291م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب– جامعة الإسكندرية عام 2008م، ص103؛ سرور علي عبدالمنعم: السياسية الداخلية والخارجية لمملكة بيت المقدس في عهد الملك فولك الأنجوي، ص174؛ هاني زحير: "الزيجات السياسية لدى الصليبيين"، ص49؛ هنادي السيد محمود: مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الأول، ص169. وانظر:

Fink (H.), "The Foundation of The Latin States, p.407.

أشار سرور عبدالمنعم في أطروحته إلى جانب من العداء بين روجر الثاني ملك صقلية ومملكة بيت المقدس وإماراتها التابعة إليها، ومن ذلك سعي ملك صقلية إلى امتلاك أنطاكية، باعتبارها تابعة لمملكة بيت المقدس حينذاك. فعندما قُتل أمير أنطاكية بوهيموند الثاني عام 1130م تولى الملك فولك الوصاية على إمارة أنطاكية، وكان الملك يعادي كل ما هو نورماني، ولا يريد أن يكون مجاورًا لروجر الثاني، الأمر الذي دفعه إلى استدعاء ريموند دي بواتييه إلى أنطاكية لتزويجه من كونستانس الوريثة الشرعية، ومن ثم إسناد شؤون إمارة أنطاكية له، وتم ذلك في سرية تامة خوفًا من أطماع الملك روجر الثاني، والذي كان يطمع في وراثة ابن عمه بوهيموند الثاني، وكان يعتبر أنطاكية وكل ما يتبعها ملكًا له بحكم الوراثة، ورغم السرية التي أحيط بها استدعاء ريموند فقد علم روجر الثاني بذلك المشروع وحاول روجر الثاني منع وصول ريموند إلى أنطاكية، لكن ريموند نجح في الوصول إلى أنطاكية متنكرًا، وبذلك فشلت محاولة الملك روجر الثاني وصار ريموند الثاني أميرًا على أنطاكية. ويستنتج سرور عبدالمنعم من ذلك أن علاقة الملك فولك الأنجوي بروجر الثاني حاكم صقلية، كانت علاقة عدائية، وربما

زواج عموري الأول من آجنيس كورتيناي.

لم تكن زيجة الملك بلدوين الأول غير الشرعية إلا فاتحة لزيجات أخرى غير شرعية داخل المملكة، فبعد وفاة بلدوين الأول بأربعين عامًا شهدت مملكة بيت المقدس الحالة الثانية، وهي زواج الملك عموري الأول Amouri I (1163–1174م)[52] من الكونتيسة آجنيس دي كورتيناي Agnes de Courtney[53]، ابنة جوسلين الثاني كونت الرها Joscelin II of Edessa[54] كونت الرها، وقد تمت الزيجة سنة 1157م، وقد قُوبل زواجهما بمعارضة بطريركية بيت المقدس، لأسباب شرعية، فقد اعترض

كان سببها عدم نسيان روجر للعار الذي لحق بأمه من قبل، وتمسكه بأحقيته في وراثة بيت المقدس وامارتها. انظر: سرور علي عبدالمنعم: السياسية الداخلية والخارجية لمملكة بيت المقدس في عهد الملك فولك الأنجوي، ص174–175.

([52]) عموري الأول: هو الابن الثاني للملك فولك، ولد عام 1135م/529–530هـ تولى كونتية يافا وعسقلان عام 1145م في عهد أخيه الأكبر الملك بلدوين، وظل في منصبه حتى وفاة أخيه، فآل إليه عرش القدس بحكم الوراثة عام 1163م وظل فيه حتى وفاته عام 1174م. وقد كان رجلًا شجاعًا حكيمًا، غير أنه كان جشعًا للمال حسب ما ورد عنه. عنه بالتفصيل انظر: وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج4، ص16–18؛ حجازي عبد المنعم سليمان: السياسة الخارجية لمملكة بيت المقدس عهد الملك عموري الأول (1163–1174م/558–569هـ)، دار الآفاق العربية، ط.القاهرة 2014م؛ ص116. وانظر:

Schlumberger G., Campagnes du roi Amaury I de Jérusalem en Egypt, Paris 1907.

([53]) آجنيس كورتيناي: هي ابنة جوسلين الثاني دي كورتيناي أمير الرها، وأخوها هو جوسلين الثالث دي كورتيناي. تزوجت أربع زيجات متتالية، تزوجت للمرة الأولى وهي ابنة الخامسة عشر ربيعًا سنة 1151م من رينالد سيد مرعش، وقد لقي مصرعه في معرة أنب سنة 1149م، ثم تزوجت للمرة الثانية من عموري الأول سنة 1157م، ثم طُلقت وتزوجت للمرة الثالثة من هيو ابيلين، ثم تزوجت للمرة الرابعة من رينالد بن جيرارد سيد صيدا، وتم تطليقها لوجود صلة قرابة بينهما تحرمها الكنيسة. انظر: وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج4، ص24؛ حجازي عبد المنعم: السياسة الخارجية لمملكة بيت المقدس عهد الملك عموري الأول، ص121–122 وراجع:

"The Titular Nobility of The Latin East: The Case of Agnes of Courtenay" in: Crusaders, Cathars and the Holy Places, (ed.) by: Bernard Hamilton, (Ashgate, London 2000), pp.197–201.

([54]) جوسلين الثاني: أمير الرها خلال الفترة 1131–1144م، وهو من أم أرمينية هي أخت ليون الأرميني، ويعد من الأمراء الذين ولدوا بالشرق، تزوج من بياتريس، أرملة حاكم صهيون بالقرب من اللاذقية، وقد أنجب منها ولدًا هو جوسلين الثالث، وبنتين هما آجنيس وايزابيلا. انظر: محمد مؤنس عوض: معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص391.

فولشر Fulcher (1146–1157م) [55] بطريرك بيت المقدس على زواج عموري الأول من آجنيس، بسبب صلة القرابة التي كانت بين الزوجين، والتي بلغت الدرجة الرابعة[56].

تجدر الإشارة إلى أن كنيسة العصور الوسطى كانت تُحرّم الزواج بين الأقارب حتى الدرجة السابعة، أي أنه يجب ألا يكون لهما جد مشترك في خلال سبعة أجيال، وجاء ذلك بصورة واضحة في قرارات مجمع كليرمونت بفرنسا سنة 1095م، حيث جدد المجمع حظره لزواج الأقارب "ويُعد من تزوج بقريبة له حتى الدرجة السابعة ملعونًا ومحرومًا من الكنيسة، باعتبار أن زيجته تلك "زيجة محارم"[57].

ولكن ماذا عن حقيقة صلة القرابة بين عموري الأول وآجنيس كورتيناي؟ الواقع أن المؤرخ وليم الصوري استقصى بنفسه عن صلة القرابة تلك. فذكر أنه حينما تمت زيجة عموري الأول بآجنس كان هو بعيدًا فيما وراء البحر، منصرفًا لدراسة الآداب والقانون، ولما عاد إلى مملكة بيت المقدس سأل السيدة "تيفانيا" رئيسة راهبات دير القديسة مريم، وهي ابنة جوسلين الكبير كونت الرها عن حقيقة هذه القرابة، ورغم أن السيدة تفانيا كانت في أرذل العمر إلا أنها سردت عليه أنساب الزوجين سردًا عن ظهر قلب، وأكدت له صلة القرابة بين عموري الأول وآجنيس[58].

فحسب رواية وليم الصوري كان عموري الأول ابنًا للملكة مليسيند Melisende ابنة بلدوين دي بورج والذي حمل لقب الملك بلدوين الثاني، من زوجته مورافيا أوف ميلتاني Morphia of Melitene، وبلدوين دي بورج الأب هو نتاج زواج هيوج الأول أوف ريثل Hugh I Count of Rethel من مليسيند ابنة بوشارد أوف مونتيري Melisende of Monthléry. أما آجنيس كورتيناي فهي ابنة الكونت جوسلين الثاني كورتيناي أمير الرها Joscelin II Courtnay، وأمها هي الأميرة بياتريس وريثة اقطاع ساون Biatrice of Saone ، وجوسلين الثاني أبيها كان نتاج زواج جوسلين الأول كونت الرها Joscelin I Courtnay، والسيدة سيستر أوف ليو Sister of Leo، ووالدة جوسلين الأول هي

([55]) فولشر: فرنسي الأصل، ارتحل إلى مملكة بيت المقدس فتم تعيينه رئيسًا لأساقفة صور خلال الفترة (1135–1145م)، ثم تم ترقيته بطريركًا لبيت المقدس في الخامس والعشرين من يناير سنة 1146م، واستمر في منصبه حتى وفاته سنة 1157م. عنه انظر: وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج3، ص265.

([56]) لمزيد من التفاصيل عن تلك الإشكالية انظر: وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج4، ص22–24؛ مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، صلاح الدين وريتشارد، ترجمة وتعليق حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ج1، ص131–132؛ حجازى عبد المنعم: "السياسة الخارجية لمملكة بيت عهد الملك عموري الأول، ص121–122. وانظر:

Bernard Hamilton,"The Titular Nobility of The Latin East: The Case of Agnes of Courtenay" , pp.197–201.

([57]) Roger of Wendover , The flower of history, Vol . 1, p. 375.

([58]) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج4، ص23–24.

السيدة ايزابيلا ابنة بورشارد أوف مونتييريIsabella of Monthléry وشقيقة مليسيند أم الملك بلدوين الثاني جد الملك عموري الأول لأمه[59].

ومن خلال شجرة النسب تلك، يتضح أن بلدوين دي بورج وجوسلين الكبير كانا ابنين لأختين شقيقتين[60]. وأن عموري الأول كانت تجمعه بآجنيس كورتيناي صلة قرابة من الدرجة الرابعة، وهي صلة قرابة لا يجوز معها الزواج حسب قوانين الكنيسة.

ورغم اعتراض كنيسة بيت المقدس ممثلة في بطريركها فولشر على زيجة عموري الأول غير الشرعية إلا أن عموري الأول – والذي كان يحكم آنذاك كونتية يافا وعسقلان نيابة عن أخيه الملك بلدوين الثالث– Baldwin III (1145–1163م) [61] استمر يمارس حقوقه الزوجية مع آجنيس ست سنوات، وقد أثمر هذا الزواج عن طفلين، هما: سيبيلا Sibylla، والتي ولدت سنة 1159م، وبلدوين الرابع Baldwin IV[62] الذي ولد في أوائل صيف عام 1161م[63].

([59]) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج4، ص24.

([60]) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج4، ص24.

([61]) بلدوين الثالث: هو الابن الأكبر للملكة ميليسيند Melisende والملك فولك أوف أنجو Fulk of Anjou، تولى الحكم تحت وصاية أمه الملكة، ثم انفرد بالحكم دونها. من أبرز انجازاته التي حققها ضد المسلمين استيلائه على مدينة عسقلان سنة 1153م. وفي عهده حدثت الحملة الصليبية الثانية التي انتهت بالفشل. توفي بلدوين الثالث في العاشر من فبراير سنة 1163م دون أن يخلف أبناء وخلفه في العرش أخوه عموري الأول كنت يافا وعسقلان. انظر: محمد مؤنس عوض: معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص368–369. وللمزيد انظر: عبد اللطيف عبد الهادي: السياسة الخارجية لمملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الثالث 1146–1163م، رسالة ماجستير كلية الآداب – جامعة عين شمس، عام 1990م.

([62]) بلدوين الرابع: هو ابن الملك عموري الأول من آجنيس كورتيناي، ولد سنة 1161م، عهد أبوه بتربيته إلى مؤرخ المملكة وليم الصوري الذي تعهده بالرعاية، ورغم إصابته بمرض الجذام فقد نال حظا من العلم والفروسية، تولي الحكم خلفا لوالده الراحل عموري الأول سنة 1174م، وظل حاكما لمملكة بيت المقدس حتى وفاته سنة 1185م. للمزيد انظر:

B. Hamilton, The Leper King and his Hiers, Baldwin IV and The Crusader Kingdom of Jerusalem, Cambridge 2000.

وانظر: ياسر كامل محمود: مملكة بيت المقدس في عهد الملك بلدوين الرابع (1174–1185م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب –جامعة أسيوط عام 2008م.

([63]) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ4، ص22– 24؛ مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، ج1، ص132. وانظر: **Hamilton , The Leper King and His Heirs "Baldwin IV and The Crusader Kingdom of Jerusalem ,(Cambridge, 2000),p.23; Pierre Aubé, Baudouin IV de Jérusalem, Le Roi Le Preux, (Paris, 1981), p.52–55.**

لم يلبث أن أثير موضوع زيجة عموري الأول غير الشرعية سنة 1163م، ففي ذلك العام مات الملك بلدوين الثالث دون أن يخلف وريثًا للحكم سوى أخيه عموري الأول. ورغم أن عموري الأول كان الوريث الوحيد للتاج الملكي إلا أن بطريرك بيت المقدس "أمالريك" **Amalric** [64] رفض تتويج عموري الأول ملكًا على بيت المقدس، وكان سبب رفضه – حسب رواية وليم الصوري – تلك الزيجة غير الشرعية التي يتمسك بها عموري ويتحدى بها قوانين الكنيسة، ووضع البطريرك حلاً وحيدًا لتلك المشكلة وهو انفصال عموري عن آجنيس إذا ما أراد التاج[65] . كذلك فإن المؤرخ المجهول صاحب كتاب ذيل وليم الصوري تبنى رأي بطريرك القدس "أملريك " في أن عمورى الأول ارتكب بزيجته تلك "خطيئة مدمرة تُسقط كل حق له في التاج"[66]. وأيدته في ذلك حولية تاريخ هرقل [67].

ورغم أن دوافع الانفصال تلك تبدو وكأنها لأسباب دينية وشرعية وحسب، فإن واقع الأمور يؤكد أن محاولة البطريرك ومعه بارونات المملكة –على وجه خاص– في الضغط على عمورى من أجل تطليق زوجته آجنيس كانت وراءه أيضًا دوافع سياسية ربما سكتت عنها تلك المصادر[68]. والثابت أن بارونات المملكة وجدوا

روى المؤرخ وليم الصوري أن الكونت عموري دعا أخيه الأكبر الملك بلدوين الثالث لحضور حفل تعميد ابنه، واستأذنه أن يسميه باسمه، فقبل الملك بلدوين الثالث، وأضاف وليم الصوري أن كبار نبلاء المملكة الذين حضروا حفل التعميد سألوا الملك بلدوين الثالث عن المنحة التى سيهبها للطفل بلدوين فرد عليهم بدعابته المعهودة " *مملكة بيت المقدس*". ولقد تركت هذه العبارة العابرة أثرًا عميقًا في نفوس بعض نبلاء المملكة الذين سمعوها، لأنهم اعتبروها نذير شؤم بأن الملك بلدوين الثالث سيموت دون أن ينجب طفلاً يرث المملكة؛ وقد تحققت هذه النبوءة، فبعد أقل من سنتين مات الملك بلدوين الثالث ولم يتجاوز الثلاثة والثلاثين عامًا. انظر: وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ3، ص442–443. وانظر:
Hamilton , The Leper King, p. 23.

([64]) أمالريك: هو أمالريك أو عموري دي نيزل، تولى بطريركية بيت المقدس سنة 1157م خلفًا للبطريرك الراحل فولشر، وذلك بعد تدخل الملكة مليسيند في اختياره، وقد ظل في منصب البطريركية حتى وفاته سنة 1180م. انظر: وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ4، ص81، هامش (1).

([65]) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج4، ص24. وحول ملابسات ذلك انظر أيضًا: حجازى عبد المنعم: "السياسة الخارجية لمملكة بيت المقدس عهد الملك عموري الأول"، ص121–123. وانظر:
Aubé, Baudouin IV de Jérusalem, p. 56 ; Hans E. Mayer, The Beginning of King Amalric of Jerusalem , In: H.H. pp. 121–123,124,126 ; Baldwin, M.W., "The Latin States under Baldwin III and Amalric I, 1143–1174", (ed.) Setton, vol.I, pp.548–549.

([66]) مجهول: ذيل وليم الصوري، ص21–22.

([67]) **L' Estoire de Eracles, in RHC., Occ., Vol, II. P.5.**

([68]) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ4، ص23–25؛ مجهول: ذيل وليم الصوري، ص21–22؛ حجازي عبدالمنعم: السياسة الخارجية لمملكة بيت المقدس عهد الملك عموري الأول، ص121–122. وانظر:

في مسألة عدم شرعية زواج عموري بآجنس أداة يمكن من خلالها إزاحة آجنيس عن أي منصب سياسي، والراجح أن بارونات المملكة استفادوا من موقف الكنيسة التي كانت ترفض القانون الروماني وتقبل القانون البدائي، أي قانون الزواج من خارج العشيرة، ولعلها كانت تعمل بذلك على "منع تركيز الثروة نتيجة للروابط الأسرية الضيقة" حسب وصف أحد المؤرخين[69].

فالمعروف أن آجنيس كانت متزوجة قبل عموري الأول من رينالد سيد مُرعش، الذي لم يلبث أن لقي مصرعه فى معركة أنب **Inab** [70] فى عام **1149**م، وبعد عدة شهور فقدت آجنيس ميراثها في مدينة مُرعش، بعد أن فتحها المسلمون في العام نفسه، وفى عام **1150**م أسر نور الدين محمود والدها جوسلين الثاني وسمل عينيه واحتجزه سجينًا في حلب حتى مات هناك في عام **1159**م . أما والدة آجنيس "بياترس" **Beatrice** فقد باعت القلاع الباقية في الرها إلى الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين بعد أن غدت غير قادرة على الدفاع عنها، مقابل راتب سنوي طوال حياتها وأولادها. ثم عادت مع ابنها جوسلين الثالث وابنتها آجنيس إلى عقاراتهم الخاصة في ساون **Saone** بإمارة أنطاكية حيث بقيت آجنيس هناك حتى عام **1157**م عندما تزوجت من عمورى الأول. لذلك تزايدت مخاوف البارونات أعضاء المحكمة العليا من آجنيس إن أصبحت ملكة، فقد تستعمل سلطتها فى تفضيل النبلاء المنفيين الذين صاروا بدون إقطاعيات وجاءوا إلى القدس من مقاطعة أبيها الرها على أعضاء المحكمة العليا، ومن ثم توفرت أسباب العداء بين أعضاء المحكمة العليا فى عام **1163**م وبين آجنيس كورتيناي، ولم يجد كبار بارونات المملكة ورجال الدين سلاحًا أفضل من مسألة الزواج غير الشرعي للتخلص من آجنيس وفصلها عن زوجها الملك قبل أن تصل لكرسي العرش معه[71].

أياً كان الأمر؛ فقد وافق عموري الأول على أن ينفصل عن آجنيس ما دام عرش مملكة بيت المقدس صار مقرونًا بطلاقها[72]. وتم الطلاق في حضور بطريرك القدس أمالريك، ومندوب البابا ألكسندر

Ernoul, Le Chronique, p.17 ; L'Estoire de Eracles, in RHC., Occ., Vol, II. P.5 ; Hamilton ,"The Case of Agnes of Courtenay , pp.197–198.

ناقش حجازي عبد المنعم في دراسته عن عموري الأول ما ورد من آراء في المصادر السابقة ورد عليها: انظر: "السياسة الخارجية لمملكة بيت المقدس عهد الملك عموري الأول،ص**121–124**.

([69]) ول ديوانت: قصة الحضارة، مج**16**، ص**183**.

([70]) عن معركة أنب انظر: مُحَمَّد مؤنس عوض: في الصراع الإسلامي–الصليبي: السياسة الخارجية للدولة النورية (**541–569**هـ/**1146–1174**م)، ط. القاهرة **1998**م، ص**171**.

([71]) **Hamilton ,"The Case of Agnes of Courtenay , pp.197–198 ; Mayer, The Beginning of King Amalric, pp. 122–123.**

([72]) مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، ج**1**، ص**133**. وانظر:

Hamilton , The Leper King, p.26.

الثالث Alexander III (1159–1181م)[73] وهو يوحنا كردينال كنيسة القديسين يوحنا وبولس، وأُضيف شرط ينص على اعتبار سيبيلا وبلدوين الرابع طفلين شرعيين، وأن لهما الحق التام في إرث ما خلفه أبوهما، وتم الانفصال سنة 1163م[74].

تبقى زواية من الممكن التعرض لها، تتعلق بمخاطر زيجات الأقارب، فقد فطن رجال الدين في العصور الوسطى إلى المخاطر والأمراض التي تهدد الجيل الناشيء عن زواج الأقارب [75]، وثمة وثيقة ترجع إلى القرن الثامن، تنقل عن البابا جريجوري الأول Gregory I (590–604م)[76] من القرن السادس، تعليقًا على مخاطر زواج الأقارب الأدنين: "لقد تعلمنا من التجربة أن نسل هذه الزيجات لا يمكن أن يزدهر"[77]. وتدعيمًا لذلك التصور فعندما أُعلن عن اصابة بلدوين الرابع بمرض الجُذام [78]. عدّت الكنيسة هذا المرض عقابًا إلهيًا لعموري الأول بسبب زيجته غير الشرعية المخالفة للكنيسة[79].

([73]) البابا ألكسندر الثالث: ولد في Siena سنة 1100م، تم تعيينه شماسًا سنة 1150م، ثم كاردينالًا سنة 1152م، ثم مستشارا سنة 1153م وظل يترقى في المناصب الكنسية حتى تم اختياره لكرسي البابوية في روما في السابع من سبتمبر 1159م. للمزيد من التفصيل انظر :

Kelly, Oxford Dictionary of Popes, pp. 176–177.

([73]) L'Estoire de Eracles, pp.4–5 ; Hamilton, The Leper King, pp.26–27.

وانظر: وليم الصوري، المصدر السابق، ج4، ص24.

([74]) L'Estoire de Eracles, pp.4–5 ; Hamilton, The Leper King, pp.26–27.

وانظر: وليم الصوري، المصدر السابق، ج4، ص24.

([75]) ول ديوانت : قصة الحضارة ، مج16، ص183.

([76]) البابا جريجوري الأول: يعد أحد أكبر الباباوات تأثيرًا في العصور الوسطى الأوروبية الباكرة، والذي حمل لقب "العظيم". ولد سنة 540م في أسرة ثرية، تلقى تعليمه الكنسي في روما، ثم تدرج في السلك الكنسي حتى وصل إلى كرسي البابوية في الثالث من سبتمبر سنة 590م، خلفًا للبابا بيلاجيوس الثاني Pelagius II (26 نوفمبر 579– 7 فبراير 590م)، وظل في منصب البابا حتى وفاته في 12 مارس سنة 604م. انظر:

Kelly, Oxford Dictionary of Popes, pp.65–67.

([77]) Heli Lähteelä, Unwanted Husbands and Adultery, p.22.

([78]) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج4، ص174–175. وأيضًا انظر :

Archer and Kingsford , The Crusades " The Story of the Latin Kingdom of Jerusalem , New York, G.P. Putnam's Sons, (London 1902), p. 250; Aubé, op. cit.,p.55.

وربما يكون من المناسب هنا عقد مقارنة بين حالة الزواج الأولى والثانية، قبل المضي في شرح تفاصيل الحالة الثالثة. فإذا نحينا رواية فوشيه دي شارتر جانبًا فيمكن القول إن المصادر المعاصرة اتفقت على أن الحالتين كانتا زيجتين غير شرعيتين، وكان سبب عدم شرعية الحالة الأولى وجود زوجة أخرى للملك بلدوين الأول لا تزال على قيد الحياة ومن ثم لا يجوز الجمع بين زوجتين حسب مقتضيات القانون الكنسي، بينما كان عدم شرعية الحالة الثانية وجود قرابة بين الزوجين وصلت للدرجة الرابعة وهي قرابة تحرمها الكنيسة. ومن أوجه الإتفاق أيضًا الأثر السلبي الذي تركته الحالتان على مستقبل مملكة بيت المقدس، فلم تكن حالة الزواج الأولى في صالح المملكة حسبما كان مخطط لها، بل تسببت في وجود صراع ونزاع بين مملكة بيت المقدس ومملكة صقلية، كان من نتائجه فقدان المملكة لظهير عسكري مهم وقوي في صورة مملكة صقلية. كذلك فإن الحالة الثانية أسفرت عن وجود زوجة هي الكونتيسة آجنيس والتي كان وجودها كارثي على مملكة بيت المقدس بعد تدخلها في شئون حكم ابنها الملك بلدوين الرابع فكانت ذات تأثير فاسد حسب وصف أحد الباحثين[80] الأمر الذي كان له عواقب وخيمة على المملكة أسهمت في سقوطها من الداخل قبل أن تسقط من الخارج على يد السلطان صلاح الدين الأيوبي. أما عن أوجه الاختلاف بين الحالتين، فقد اختلفتا في دور الكنيسة تجاه كلا منها، فبينما تورطت الكنيسة ممثلة في بطريركها أرنولف في أول زيجة غير شرعية، بل وساعدت على اتمامها، نجد أن الكنيسة تعارض الحالة الثانية وهي زواج عموري الأول من آجنيس، ونجحت الكنيسة في فرض قرار الانفصال بين الزوجين. من أوجه الاختلاف

الجُذام في اللغة معناه "القطع"، والأجذم هو مقطوع اليد. انظر: جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، *أساس البلاغة*، تقديم: محمود فهمي حجازي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط.القاهرة 2003م، ج1، ص114.

أما الجذام من منظور الطب: فهو مرض مزمن يؤثر على الجهاز العصبي الطرفي، كما يؤثر على الجلد، والأغشية المخاطية، والجزء العلوي من الجهاز التنفسي والحبل الشوكي، كما يؤثر على الأعضاء التناسلية مسببًا العقم، وهذا المرض غير معدي إلا في حالات نادرة جدًا، انظر :

Zenab El Gothamy and Abdalla M. Attia, "Leprosy ", in Fundamentals of Dermatology, Andrology, Sexology and Sexually Transmitted Diseases , Cairo, 2004, pp. 28–34.

وللمزيد عن مرض الجذام أنظر:

L'Ordre de Saint–Lazare dans le Royaume Latin de Jerusalem, Revue historique 267 (1982), pp.19–41.

(79) **Piers Paul Read, The Templars, (London 1999), p. 150 ; Hamilton , The Leper King, p. 29.**

وانظر: ياسر كامل محمود: مملكة بيت المقدس في عهد بلدوين الرابع، ص89.

(80) مارشال بلدوين: اضمحلال وسقوط بيت المقدس 1174–1189م، ترجمة وتعليق سعيد البيشاوي، ضمن كتاب "تاريخ الحروب الصليبية، تحرير: محمد مؤنس عوض و سعيد البيشاوي، منشورات بيت المقدس، رام الله 2004م، ج1، ص260.

أيضًا بين الحالتين أن الحالة الأولى لم ينتج عنها أي أطفال. في حين كان ثمرة الحالة الثانية طفلة وطفل في صورة سيبيلا وبلدوين الرابع، واللذين تم اعلانهما طفلين شرعيين لهما حق الإرث الشرعي لوالديهما الملك عموري الأول.

زواج الكونتيسة آجنيس كورتيناي من رينالد ابن جيرارد سيد صيدا

لم يمض وقتًا طويلًا على طلاق آجنيس من عموري الأول، حتى تزوجت للمرة الثالثة من النبيل هيو من ابيلين **Hugh of Ibelin** سيد الرملة[81]. وبعد وفاته سنة 1169م تزوجت آجنيس للمرة الرابعة من رينالد ابن جيرارد سيد صيدا **Reginald of Sidon** (1171–1202م) [82] والراجح أن الزواج تم فيما بين سنة 1170م وسنة 1174م[83]، وكانت أيضًا زيجة غير شرعية، فحسب رواية وليم الصوري فقد كانت تربط جيرارد والد رينالد بآجنيس صلة قرابة أكدها هو بنفسه حسب ما سمعها من أسلافه، الأمر الذي دفع

([81]) **Mayer, The Beginning of King Amalric, pp. 125–126 ; Peter W. Edbury , John of Ibelin and the Kingdom of Jerusalem , in: J.R.A.S., Third Series, vol., 9, Part1, April 1999, Cambridge University Press 1999, p. 141.**

هيو من ابلين: هو أكبر أبناء ابلين الكبير مؤسس بيت يبنه، وشقيق كلاً من بلدوين سيد الرملة وباليان الأصغر، تزوج من آجنيس كورتيناى طليقة الملك عموري، ومات عام 1169م دون أن ينجب منها: انظر: **L'Estoire de Eracles,Vol. II, pp.5 –6 ; Peter W. Edbury , John of Ibelin and the Kingdom of Jerusalem , p. 141.**

([82]) رينالد سيد صيدا: ابن جيرارد سيد صيدا **Gerard of Sidon**، وأمه آجنيس أوف بورس **Agnes of Bures**، ولد سنة 1130م، برز اسمه لأول مرة في المملكة حينما تزوج من آجنيس كورتيناي طليقة الملك عموري الأول وذلك سنة 1170م، ولم يستمر زواجهما طويلا، فتم الانفصال. شارك في معركة مونتجيسارد سنة 1177م بجانب الملك بلدوين الرابع والتي تم فيها النصر على صلاح الدين، كما شهد رينالد معركة حطِّين سنة 1187م والتي لقي فيها الصليبيون الهزيمة على يد صلاح الدين الأيوبي، وقد توفي رينالد سنة 1202م. للمزيد عنه انظر: أسامه زكي زيد: صيدا ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. القاهرة 1981م، ص149، 160–162، 165–166. وانظر:

La Monte, John L., The Lords of Sidon in The Twelfth and Thirteenth Centuries, in: Byzantion, Vol. 17 (1944–1945), pp. 193–201.

([83]) **John L. La Monte, The Lords of Sidon, p.199.**

هيو من ابلين: هو أكبر أبناء ابلين الكبير مؤسس بيت يبنه، وشقيق كلاً من بلدوين سيد الرملة وباليان الأصغر، تزوج من آجنيس كورتيناى طليقة الملك عموري، ومات عام 1169م دون أن ينجب منها: انظر: **L'Estoire de Eracles,Vol. II, pp.5 –6 ; Peter W. Edbury , John of Ibelin and the Kingdom of Jerusalem , p. 141.**

الكنيسة إلى عدم الاعتراف بتلك الزيجة، وصدر قرار سنة 1179م بفسخ الزواج بين رينالد وآجنيس للسبب نفسه الذي فصل آجنيس عن عموري الأول[84].

الجدير بالذكر أن الكونتيسة آجنيس تزوجت أربع مرات، منهم زيجتين غير شرعيتين، زيجتها من عموري الأول، والأخرى من رينالد سيد صيدا، وانتهت الزيجتان بالانفصال بسبب وجود صلة قرابة بين الزوجين تحرمها الكنيسة.

أما الملك عموري نفسه فقد آثر في زيجته الثانية أن يتزوج من خارج عشيرته، فكان زواجه سنة 1167م من الأميرة البيزنطية ماريه كومنين Maria Comnena، ابنة أخي الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول كومنين Manuel I Comnenus (1143–1180م)[85]، وأنجب منها ابنتين ماتت إحداهما في سن مبكرة، أما الأخرى وتدعى إيزابيلا Isabella فقد عاشت حتى تزوجت من صاحب تورون المعروف بهمفري الرابع دي تورون Onfroi IV de Touron[86]، وقد قيل أن زواجها منه كان زواجًا غير شرعي[87]. فهل كان حقًا غير شرعي؟ .

([84]) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج4، ص24–25 ؛ رانسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، مج2، ق2، ص654.

([85]) الابن الرابع للإمبراطور يوحنا الثاني كومنين، تولى عرش الإمبراطورية البيزنطية خلال المرحلة الواقعة بين عامي (1143–1180م). انظر: محمد مؤنس عوض: معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص578–579. وللمزيد عنه انظر: محمد زكي الوسيمي: علاقة سلطنة السلاجقة الروم بالدولة البيزنطية في عهد أسرة كومنين (1081–1188م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – جامعة القاهرة عام 1988م؛ عبدالعزيز رمضان: محمد مؤنس عوض: "نورالدين محمود (1146–1174م)، ومانويل كومنين (1143–1174م) دراسة مقارنة، ضمن كتاب الحروب الصليبية دراسات في التاريخ المقارن، القاهرة 2007م، ص325–343؛ عبدالعزيز رمضان: بيزنطة والغرب الأوربي (1143–1180م)، النهضة المصرية، الطبعة الأولى، القاهرة 2007م.

([86]) همفري الرابع دي تورون : يسميه وليم الصوري "همفري الثالث"، والأصح همفري الرابع ابن همفري الثالث سيد تبنين، وأمه ستيفاني دي ميللي، التي تزوجت بعد وفاة همفري الثالث من رينو دي شاتيون (أرناط)، وكان همفري حسب وصف المراجع شابًا فائق الجمال، نال حظًا كبيرًا من التعليم، وكان أشبه ما يكون في شكله بالأنثى منه بالذكر، فكانت فيه رخاوة وكانت فيه تهتهة؛ غير أنه كان لطيفًا حصيفًا في معاملة زوجته الطفلة فأحبته. انظر: وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج4، ص260–261؛ مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، ج1، ص158؛ علي أحمد محمد السيد: همفري الرابع سيد تبنين ودوره في الحركة الصليبية، مجلة المؤرخ المصري دراسات وبحوث في التاريخ والحضارة، العدد (33)، كلية الآداب–جامعة القاهرة، يوليو 2008م، ص194–195؛ رانسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص713–714؛ أميرة مصطفي يوسف: "السياسة الداخلية والخارجية لأرناط حاكم الكرك خلال المرحلة من 1177–1187م" ضمن كتاب: الصليبيون في الشرق بحوث لتكريم المؤرخة الراحلة الأستاذة الدكتورة علية الجنزوري، تحرير أ.د/محمد مؤنس عوض ، ط. مكتبة الآداب ، القاهرة 2013م، ص178، هامش (1).

([87]) Ernoul, Chronique, pp.17–18; Kinnamos, Deeds of John and Manuel Comnenus, trans. by Charles Brand, (New York, Columbia University Press 1976), pp.139 ;"The Queens of Jerusalem 1100–1190 " In

زواج كونراد دي مونتفرات من الملكة إيزابيلا

بعد وفاة الملكة سيبيلا في أغسطس سنة 1190 وهي في ريعان شبابها، وكذلك ابنتيها أليس Alice وماريا Maria [88] فقد الملك جاي لوزنيان Guy of Lusignan[89] عرش المملكة [90] وصارت الأميرة

:Crusaders, Cathars and the Holy Places, p. 161.

مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، ج1، ص133.

([88]) المؤرخ المجهول: الحرب الصليبية الثالثة، ج1، ص130–131.

يتشكك المؤرخون والباحثون في الوفاة المفاجئة للملكة سيبيلا وابنتيها من بعدها، ويرون أن ثمة مؤامرة تمت من أجل اقصاء الثلاثة عن العرش تمهيدًا لاعتلاء متآمر للعرش، وقد رجح أحد الباحثين أن كونراد دي مونتفيرات كان وراء وفاتهن، بصفته المستفيد من غياب هؤلاء جميعًا، تمهيدًا للاستحواذ على عرش المملكة. انظر: المؤرخ المجهول: الحرب الصليبية الثالثة، ج1، ص132؛ علاء رجب مُحَمَّد إبراهيم النحاس: دور أسرة مونفرات في الصراع الصليبي الإسلامي في الشرق الأدني الإسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة دمنهور عام 2014م، ص195–196.

([89]) جي لوزنيان: ابن هيو الثامن أوف لوزنيان Hugh VIII of Lusignan وهو نبيل من بواتو، قدم جي لوزنيان مملكة بيت المقدس سنة 1180م برفقة أخيه إيمري لوزنيان، وتزوج من سيبيلا أخت الملك بلدوين الرابع سنة 1183م. وبعد وفاة بلدوين الرابع سنة 1185م، تم إعلان سيبيلا وزوجها جي ملكين على بيت المقدس، شارك في معركة حطين سنة 1187م ووقع في الأسر، ثم أطلق صلاح الدين سراحه بعد أن تعهد بعدم قتاله، إلا أنه حنث بيمينه وعاد لمحاربته، وبعد أن فشل في تحقيق حلمه بفلسطين، هاجر إلى قبرص وأسس هناك إمارة صار حاكمها في الفترة 1192 وحتى وفاته سنة 1194م. انظر: مُحَمَّد مؤنس عوض: معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص394–395. وولمزيد عنه انظر: سهير نعينع: "جي دو لوزينيان وصلاح الدين الأيوبي بين الحرب والسلام، ضمن كتاب بحوث في تاريخ العصور الوسطى، كتاب تذكاري للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران، الإسكندرية 2004م، ص374–399.

([90]) أمبرواز: صليبية ريتشارد، ضمن كتاب الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، تأليف وتحقيق وترجمة: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق 1998م، ج32، ص256–257.

حدد أمبرواز وفاة سيبيلا بين الثالث عشر والعشرين من شهر أغسطس سنة 1190م، في حين ورد في هامش كتاب إرنول أن وفاتها كانت في الخامس عشر من يوليو من العام نفسه. انظر: أمبرواز: صليبية ريتشارد، الموسوعة الشامية، ج32، ص256–257. وانظر:

Ernoul, Chronique, p.267, n (2).

ايزابيلا أخت الملكة الراحلة، وزوجة همفري صاحب تورون هي الأحق بعرش المملكة وفقًا لقانون المملكة[91]. وتمت مراسم تتويج الزوجين في عكا ملكين على مملكة بيت المقدس الأسمية[92].

لم يمض وقت طويل على تتويج إيزابيلا وزوجها همفري الرابع دي تورون حتى دبر الماركيز كونراد دي مونتفيرات صاحب صور[93] مؤامرة لتطليق إيزابيلا من همفري، تمهيدا للزواج منها، أو بالأحرى سرقتها من زوجها حسب وصف أحد المصادر المعاصرة [94] كخطوة يحقق من خلالها هدفه في الوصول إلى عرش المملكة[95].

وفي سبيل ذلك، اتخذ الماركيز كونراد عدة اجراءات وصفها صاحب كتاب الحرب الصليبية الثالثة "بالمسلك الأعوج"، فشرع يندد بزيجة همفري من إيزابيلا، ولم يجد سلاحًا يستخدمه في ذلك سوى الإدعاء بأن زيجتهما غير شرعية، ويجب على الكنيسة فسخها [96]. وحتى يحقق هدفه استمال إليه ماريه كومنين أم الملكة إيزابيلا، والمعروف عنها كراهيتها لهمفري زوج ابنتها[97]. كذلك سعى الماركيز إلى استمالة عدد من كبار الأمراء ورجال الدين، وراح يبرر لهم أنه من الأفضل فصل إيزابيلا عن زوجها، وحسب وصف المصادر المعاصرة فقد

([91]) ذيل وليم الصوري، ص187؛ أمبرواز: صليبية ريتشارد، ج32، ص268. وانظر:
Ernoul, **Chronique**, **p.267**.

([92]) **L'Estoire d'Eracles et La Conquest de la Terre d'Outremer**, **RHC**. **Occ**. **Tome II**, (**Paris 1859**).**p.30–31**.

([93]) كونراد دي مونتيفرات: هو الابن الثاني في سلسلة أبناء الماركيز وليم الأكبر دي مونتفرات، صار ماركيزا لمونتيفرات سنة 1190م، ارتحل إلى الأراضي المقدسة في رحلة حج مسلح، واستقر به المقام في مدينة صور، حيث رحب أهلها به، وأصبحت له السيادة عليها. انظر: علاء رجب مُحَمَّد إبراهيم النحاس: دور أسرة مونفرات في الصراع الصليبي الإسلامي، ص92 وما بعدها ؛ فضيلة حسن خلف المفرجي: أسرة مونتفيرات وأثرها في الحروب الصليبية، مج7، عدد (21)، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، حزيران 2015م، ص 400.

([94]) ذيل وليم الصوري: المصدر السابق، ص189؛ أمبرواز: صليبية ريتشارد، الموسوعة الشامية، ج32، ص269.

([95]) المؤرخ المجهول: الحرب الصليبية الثالثة، ج1، ص133. المؤرخ المجهول: الحرب الصليبية الثالثة، ج1، ص157؛ علي أحمد السيد: همفري الرابع، ص206–207؛ علاء النحاس: دور أسرة مونفرات، ص197.

([96]) المؤرخ المجهول: الحرب الصليبية الثالثة، ج1، ص157.

([97]) جاء في سبب كراهية الأم ماريه لزوج ابنتها همفري دي تورون، أنه بعد زواجه من ايزابيلا صار شديد الكراهية لأم زوجته، وأنه حرمها من رؤية ابنتها، تحقيقا لنصيحة كانت قد أسدتها إليه أمه "ستيفاني أوف ميللي **Stephany of Milly** صاحبة الكرك. انظر: ذيل وليم الصوري، المصدر السابق، ص187–188. وللمزيد من التفاصيل انظر: رانسيمان: المرجع السابق، مج2، ق2، ص713؛ علي أحمد السيد: همفري الرابع، ص198؛ علاء النحاس: دور أسرة مونفرات ، ص197.
Ernoul, **Chronique**, **pp.102–106**.

"أفسد كونراد دي مونتفرات كثيرًا من رجال الجيش والدين بهداياه ووعوده السخية لهم لا سيما من كانوا في حاشية المندوب البابوي هوبيرت **Hubert** رئيس أساقفة بيزا[98]، الذي قَدِمَ المملكة نائبًا عن البابا وعن البطريرك المريض هرقل من أجل اتمام صفقة زواج كونراد من إيزابيلا، وانضم إليهم رينالد صاحب صيدا **Reginald of Sidon**، وباجان صاحب قلعة حيفا **Pagan of Caiphas** ، وباليان الثاني دي ابيلين، وكاد ريموند الثالث كونت طرابلس أن ينضم معهم في هذا التنظيم الذي يؤيد خطة الماركيز في زواجه الجديد لولا وفاته، وقد وصف المؤرخ المجهول صاحب كتاب الحرب الصليبية الثالثة هؤلاء بالمتآمرين الذين طُبِعُوا على الخسة والندالة والخيانة [99].

على أية حال، وفي حضرة المندوب البابوي، ومجموعة من الشهود، وفي حضور الزوج همفري، قامت الملكة ماريه التي وصفها صاحب المؤرخ المجهول بإنها "إمرأة نهّازة للفُرص" وأخبرت المندوب البابوي ببطلان زيجة ابنتها من همفري، وراحت تذكر له سبب هذا البطلان، وهو أن ابنتها حين تزوجت كانت طفلة صغيرة في الثامنة من عمرها، أي أنها كانت دون السن التي يصح لها فيها الزواج[100]، وأن الزيجة تمت رغم إرادتها وإرادة ابنتها، ومن ثم فإن هذه الزيجة غير شرعية وباطلة، ويجب فسخها [101].

حاول همفري الدفاع عن زيجته، مؤكدًا أن زوجته قبلت الزواج منه عن فهم وعن طيب خاطر، وبرضاء تام من ناحيتها. وعندما طُلب شهادة الشهود قام أحدهم ويدعى سينليس **Senlis** كبير الخدم في القصر الملكي، بالإدلاء بشهادته متحديًا همفري ومُكذبه، حيث أكد على أن السيدة ايزابيلا لم يُؤخذ رأيها، ولم يستشرها

([98]) ذيل وليم الصوري: المصدر السابق، ص189؛ المؤرخ المجهول: الحرب الصليبية الثالثة، ج1، ص157؛ أمبرواز: صليبية ريتشارد، ضمن كتاب الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، تأليف وتحقيق وترجمة: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق 1998م، ج32، ص269؛ علي أحمد السيد: همفري الرابع، ص208.

([99]) المؤرخ المجهول: الحرب الصليبية الثالثة، ج1، ص159؛ علي أحمد السيد: همفري الرابع، ص208؛ علاء النحاس : دور أسرة مونفرات، ص199.

([100]) كان الزواج المبكر في العصور الوسطى أمرًا شائعًا، وكان في وسع الطفل صاحب السبع سنوات أن يُوافق على خطبته، حيث يسهل انتقال الملكية أو حمايتها، وهناك أمثلة كثيرة على ذلك، فقد تزوجت الأميرة الصغيرة جراس في الرابعة من عمرها بنبيل يمكنه حماية ضيعتها، وعندما توفى هذا النبيل بعد عامين **Grace de Saleby**دي صليبي ، حمله **John Rigmarden**من زواجهما تزوجت بنبيل آخر، كذلك فإن طفلًا بإنجلترا يدعى يوحنا ريجماردن الأسقف إلى الكنيسة وعمره ثلاث سنوات لكي يجري له مراسم الزواج، مما يعني أن الكنيسة في العصور الوسطى كانت تسمح بالعديد من الاستثناءات. انظر: ول ديوانت : قصة الحضارة ، مج16، ص182. وأيضًا:

Eileen Power, Medieval People, Cambridge 1924, p.76.

([101]) أمبرواز: صليبية ريتشارد، ص268 وما بعدها ؛ المؤرخ المجهول: الحرب الصليبية الثالثة، ج1، ص160؛ علي أحمد السيد: همفري الرابع، ص208–209.

أحد بشأن هذا الزواج، وأضاف أن كل ما تم إنما تم بأمر أخيها الملك بلدوين الرابع، وضد مشيئة ايزابيلا وضد إرادة أمها[102].

وأمّا الذين أفسدتهم هدايا الماركيز على حد قول مؤلف ذيل وليم الصوري فقد راحوا ينصحون إيزابيلا وهمفري بضرورة الانفصال، وأنهما سُيحرمان من عرش المملكة إذا ما استمرا في زيجتهما غير الشرعية المخالفة للكنيسة[103]. وتحت ضغط الجميع اضطر همفري مرغمًا إلى فصم عقد الزواج والانفصال عن زوجته [104].

وحول ذلك راح المؤرخ المجهول صاحب كتاب الحرب الصليبية الثالثة يندد بتلك الزيجة موضحًا أن الماركيز كونراد ارتكب جريمة حين سلب من همفري زوجته والمملكة أيضًا، ثم راح المؤرخ يقارن بين ضياع هيلين [105] صاحبة أسبرطة وبين سرقة إيزابيلا من زوجها. واصفًا سرقة ايزابيلا بأنها أنكى وأشد وأفدح جرمًا من اغتصاب هيلين، "فسرقة هيلين تمت سرًا وفي الخفاء حين كان زوجها بعيدًا عنها، أما إيزابيلا فقد سُرقت صراحة وعلنًا رغم أنف زوجها وفي حضرته ![106].

لم تكن المصادر الصليبية وحدها التي تحدثت عن هذا الفعل الشائن، فثمة مصدر إسلامي معاصر في صورة كتاب الفتح القسي للمؤرخ عماد الكاتب الأصفهاني أشار إلى ذلك الأمر فأورد يقول: " فبعد وفاة ابنة الملك (يقصد بها سيبيلا) ولم يعد من وريث لها غير أختها ايزابيلا زوجة (هنفري) همفري فأصبح المركيس (يقصد الماركيز كونراد) عليه يجتري، ويقول لست من أهل الملك لتكون الملكة لك زوجة، ولابد لي من تقويم هذا الأمر حتى لا أبقي فيه عوجه، وغصها منه، وصرفها عنه، واتخذها له عروسًا، وأحضر لنكاحها قسوسًا، وقيل إنها كانت حُبلى، ولم تخرج من حبالة الحبل، فما شغلهم حرمة الرحم المشتغل، وادعى الماركيز أن المُلك انتقل بها إليه، وإن

([102]) المؤرخ المجهول: الحرب الصليبية الثالثة، ج1، ص160؛ علي أحمد السيد: همفري الرابع، ص209.

([103]) أمبرواز: صليبية ريتشارد، ص268 وما بعدها ؛ ذيل وليم الصوري، المصدر السابق، ص187.

([104]) ذيل وليم الصوري، المصدر السابق، ص189؛ علاء النحاس: دور أسرة مونفرات، ص201.

بعد انفصال همفري دي تورون عن إيزابيلا، وتسلمها مقاليد أمور المملكة في يدها استدعت البارونات الموجودين بالمملكة وأعلنت في حضرتهم أنها راغبة في أن يكون لهذا الزوج أو ذريته الحق في أن يرثوها، وأكدت لهم أنها ترد إليه جميع الأراضي التي أعطاها لأخيها حين تزوجها وتعني بذلك شقيف تورون وهونين Chatauxneuf ، وكل ما يتعلق بهما من امتيازات، وكذلك جميع الممتلكات الخاصة بأبي همفري وجده. وبعد أن فرغت من ذلك أخذ الماركيز يرتب حفل عقد زواجه من منها، ويقال أنه تزوجها مرتين، أما الأولى فكانت زيجة سرية، وأما الثانية فكانت بالكنيسة. انظر: ذيل وليم الصوري، المصدر السابق، ص190–191؛ علي أحمد السيد: همفري الرابع، ص212.

([105]) هيلين: جاءت قصة هيلين في إلياذة هوميروس، والتي تعد من أعظم ملاحم الأدب الغربي الكلاسيكي، وفيها أن هيلين كانت من أجمل نساء الإغريق، تزوجت من الملك منيلاوس ملك أسبرطة، لكنها وقعت في غرام باريس الابن الأصغر لبريام ملك طروادة، وفرت معه إلى طروادة، الأمر الذي تسبب في نشوب حرب بين أسبرطة وطروادة استمرت عشر سنوات انتهت بسقوط طروادة ومقتل ملكها بريام وابنه الأكبر هيكتور. لمزيد من التفصيل انظر: هوميروس: الإلياذة، ترجمة دريني خشبة، دار التنوير، ط. 2014م.

([106]) المجهول: الحرب الصليبية الثالثة، ج1، ص158.

أمر الفرنج بشرعهم في يديه "[107]. ولا شك أن هذه الإشارة تبرهن على مدى اهتمام المؤرخين المسلمين بما يجري من أحداث دقيقة داخل البيت الصليبي؛ لما قد ينطوي عليه هذا من معلومات مهمة قد يكون لها أثر في الصراع الصليبي– الإسلامي[108].

بناءً على ما سلف، فإن الباحث يميل إلى القول بأن زواج كونراد مونتيفرات من إيزابيلا كان زواجًا غير شرعي، وذلك للأسباب الآتية: أولًا: لم يتوفر بين هنفري دي تورون وزوجته إيزابيلا أي شرط من شروط الانفصال التي نص عليها القانون الكنسي المعمول به حينذاك[109]، كما أن القول بأن زواج همفري من إيزابيلا كان زواجًا غير شرعي بحجة أنه حين تزوجها كانت صغيرة لا تعي شيئًا هو إدعاء باطل. والدليل على ذلك رواية وليم الصوري أحد شهود العيان على تلك الزيجة والذي ذكر أن همفري خطب ايزابيلا سنة 1180م وهي ابنة الثامنية ربيعًا، وتزوجها سنة 1183م[110] أي بعد أن بلغت الحادية عشرة من عمرها، ومن ثم كانت تعي زواجها.

كذلك فوفقًا للقانون الكنسي الذي ينص على أنه لا تجوز الخطوبة قبل سن السابعة، لعدم وعي الطرفين بأمور الزواج في هذا السن[111]. تكون خطبة همفري لإيزابيلا صحيحة، حيث أنه خطبها بعد سن السابعة من عمرها ومن ثم لم تخالف القانون المعمول به حينذاك.

([107]) عماد الدين الكاتب الأصفهاني: الفتح القسي في الفتح القدسي –حروب صلاح الدين وفتح بيت المقدس، ط.1، دار المنار، 2004م، ص260.

([108]) علي أحمد السيد: همفري الرابع، ص210.

([109]) Emilie Amt ,Women's Lives in Medieval Europe, p.38.

وانظر: الايغومانوس فيلوساوس: الخلاصة القانونية، ص13.

([110]) الحروب الصليبية، ج4، ص261، 327.

تبدأ قصة هذا الزواج في أكتوبر سنة 1180م حين خطب الملك بلدوين الرابع لأخته الصغرى غير الشقيقة "إيزابيلا" صاحبة الثمانية أعوام شابًا صغيرًا يدعى همفري الرابع دي تورون، ولكن الزواج تأجل لمدة ثلاث سنوات؛ نظرًا لأن الأميرة إيزابيلا لم تكن قد تجاوزت الثامنة من عمرها بعد، وعلى ذلك ففي سنة 1183م حان وقت عقد القران؛ بعد أن بلغت الأميرة إيزابيلا الحادية عشرة من عمرها، أما همفري الرابع فكان يناهز السابعة عشر من عمره، وقد تم الزواج في حصن الكرك بحضور كل من الملكة ماريه كومنين والدة العروس، وستيفاني دي ميللي أم همفري، وزوجها رينو دي شاتيون – الذي تزوجته بعد وفاة زوجها همفري الثالث، ولفيف من الأميرات والأمراء الصليبيين انظر: وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج4، ص327؛ أمبرواز: صليبية ريتشارد، الموسوعة الشامية، ج32، ص 175؛ رانسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، مج2، ق2، ص711–713؛ أميرة مصطفي يوسف: المرجع السابق، ص178–180؛ علي أحمد السيد: همفري الرابع، ص195–196؛ وقد انفرد المؤرخ إرنول بوصف حفل العرس. انظر:

Ernoul, Chronique, pp.102–106.

([111]) Emilie Amt ,Women's Lives in Medieval Europe, p.36.

ثانيًا: إن شهادة أحد المؤرخين المعاصرين وهو صاحب كتاب ذيل وليم الصوري تؤكد بما لا يدع مجالًا لشك على عدم شرعية زيجة كونراد وإيزابيلا، حيث ذكر أن المندوب البابوي هوبيرت أسرع بإعلان الفصل بين همفري وإيزابيلا، على الرغم من أنه لو تُرك له الأمر ليحكم فيه بما يشاء وبما يرى –لأبقى عقد الزواج قائمًا ولم يسمح بالطلاق، إذ لم يكن عنده سبب قوي يبرر الفصل بين الزوجين. ولكن السبب الذي حمل مندوب البابوية على الوقوف إلى جانب الماركيز والإسراع في تطليق إيزابيلا من زوجها وتزويجها من الماركيز، هو أن البيازنة كانوا قد أحضروه من القسطنطينية إلى مدينة صور، وهم الذين وقفوا إلى جانبه رغبة في دفع المملكة إلى حليفهم كونراد[112].

ثالثًا: اتفق المؤرخون المعاصرون على أن الماركيز كونراد دي مونتفيرات كان يجمع زوجتين أخرتين لا تزالان على قيد الحياة ، وهو أمرًا يُبطل زيجته بإيزابيلا، ويُصبح حسب وصف هؤلاء المؤرخين "مرتكبًا لثلاث جرائم من جرائم الزنا"[113].

رابعًا: موقف الكنيسة الغربية على تلك الزيجة يؤكد على عدم شرعية تلك الزيجة. فقد شن رئيس أساقفة كانتربري وأسقف بوفياس ورجال دين آخرين هجومًا عنيفًا على تلك الزيجة واعتبروها زيجة "ضد الرب وضد الشريعة" [114]. فقد استنكر كبير أساقفة كانتربري هذه الزيجة غير الشرعية، وألقى باللوم على رجال الدين والنبلاء المتواطئين، وأصدر على الفور قرار الحرمان الكنسي ضد الذين وافقوا على عقد هذا الزواج [115].

والسؤال المطروح الآن ماذا جنت مملكة بيت المقدس من جراء تلك الزيجة غير الشرعية ؟. ينبئنا صاحب كتاب ذيل وليم الصوري بالمصير البائس الذي بات يتهدد المملكة داخليًا، وينذر بكارثة بسبب هذا العمل الشنيع[116]. فواقع الأمر أن الخلاف حول الأسلوب الذي طُلقت به إيزابيلا من همفري، وتزويجها من كونراد بالباطل، فضلا عن طمع كونراد في السلطة أدى إلى مزيد من الشقاق داخل المعكسر الصليبي، كان من نتائجه اغتيال كونراد في الثامن والعشرين من أبريل سنة 1192م، وقد اختلفت الآراء حول مقتله، فثمة رأي يقول إن هنري كونت شامبني هو الذي دبر أمر اغتيال كونراد طمعًا في الوصول لعرش المملكة، عن طريق الزواج من "إيزابيلا" بعده[117]. في حين يروي العماد الكاتب الأصفهاني أن الماركيز قُتل على يد اثنين من الفداوية

وانظر: الايغومانوس فيلوساوس: الخلاصة القانونية، ص13.

([112]) ذيل وليم الصوري، المصدر السابق، ص189–190.

([113]) المؤرخ المجهول: الحرب الصليبية الثالثة، ج1، ص161؛ أمبرواز: صليبية ريتشارد، الموسوعة الشامية، ج32، ص269؛ علاء النحاس: دور أسرة مونفرات، ص204.

([114]) أمبرواز: صليبية ريتشارد، الموسوعة الشامية، ج32، ص269.

([115]) المؤرخ المجهول: الحرب الصليبية الثالثة، ج1، ص159.

([116]) ذيل وليم الصوري، المصدر السابق، ص191.

([117]) علي أحمد السيد: همفري الرابع، ص213؛ أحمد عبدالله أحمد: الجرائم والعقوبات في المجتمع الصليبي في بلاد الشام في القرن 6–7هـ/ 12–13م، دار الآفاق العربية، ط.1، القاهرة 2016م، ص96؛ علاء النحاس: دور أسرة مونفرات، ص256–258.

الإسماعيلية، وأن التدبير كان بعلم الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد[118]. وأيًا كان الجاني فالمتابع للأحداث يدرك بلا يدع مجالًا لشك أن عرش المملكة الأسمية كان حلبة صراع، أُطيح فيه بمهفري الرابع دي تورون، وقُتِلَ بسببه كونراد دي مونتيفرات، وعجّل أيضًا بوفاة هنري دي شامبني Henry de Champagne(1192–1197م) [119] الزوج غير الشرعي الثاني لأرملة كونراد دي مونتيفرات كما سوف يتضح.

زواج هنري دي شامبني من الملكة إيزابيلا.

عقب مقتل كونراد دي مونتيفرات في أواخر أبريل سنة 1192م، وصل الكونت هنري دي شامبني إلى صور، حيث أُستقبل هناك بالترحاب، وأجمع الناس في صور على اختياره أميرًا عليهم، وتوسلوا إليه – حسب رواية المؤرخ المجهول[120] أن يتفضل عليهم بقبول التاج الملكي، وزادوا فألحوا عليه أن يتزوج من "إيزابيلا" أرملة الراحل كونراد وصاحبة المملكة بحق الوارثة الشرعي، فأجابهم الكونت أنه لن يُقدم على أي عمل إلا بعد إرسال سفارة لأخذ مشورة عمه الملك ريتشارد قلب الأسد Richard Lionhearted (1189–1199م) [121].

([118]) العماد الكاتب: الفتح القسي، ص307. وانظر: عثمان عبدالحميد عشري: الإسماعيليون في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية (491–691هـ/1097–1290م)، كلية الآداب جامعة القاهرة بالخرطوم 1983م، ص167–170.وللمزيد عن ملابسات اغتيال كونراد دي مونتيفرات انظر: أحمد عبدالله أحمد: الجرائم والعقوبات، ص91–100؛ علاء النحاس: دور أسرة مونفرات، ص237–260

([119]) هنري دي شامبني: الابن الأكبر لهنري الأول كونت شامبني ، ورث أراضي والده عام 1181، وفي عام 1190م وصل إلى عكا على رأس فرقة من الفرسان الفرنسيين، من أجل المشاركة في الحملة الصليبية الثالثة (1189–1192م)، وقد لعب دورًا بارزًا في حصار عكا، وبعد اغتيال كونراد دي مونتفرات في أبريل سنة 1192م، تزوج من أرملته إيزابيلا، وأصبح ملكً للمملكة الأسمية حتى وفاته فجأة في العاشر من سبتمبر سنة 1197م على إثر حادثة وقت له. انظر: مُحَمَّد مؤنس عوض: معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص452–453.

([120]) المؤرخ المجهول: الحرب الصليبية الثالثة، ج2، ص166–167.

يضيف المؤرخ المجهول صاحب الحرب الصليبية الثالثة رواية فحواها أنه بعد أن فرغ الناس من دفن جثمان الماركيز اجتمع حوالي عشرة الآف من الفرنسيين الموجودين بمدينة صور وطالبوا الملكة ايزابيلا بتسلم المدينة لهم فتكون في أيدهم حتى يقضي فيها ملك فرنسا بما يراه، لكن إيزابيلا رفضت تسليمهم المدينة وأصرت على تسليمها للملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد، وبينما هم يتجادلون حول من يملك المدينة وصل الكونت هنري دي شامبني إلى صور، فعمت الفرحة حسب وصف المؤرخ المجهول وأجمعوا أمرهم على اختياره أميرًا عليهم وحاكمًا. انظر: الحرب الصليبية الثالثة، ج2، ص166–167.

([121]) ريتشارد قلب الأسد: هو الابن الثاني للملك هنري الثاني Henry II (1154–1189م) ملك انجلترا، وإليانور الأكويتانية Eleanor of Aquitaine، شارك في الحملة الصليبية الثالثة (1189–1192م)، واستطاع مع قواته الاستيلاء هلى مدينة عكا، وبرغم ما أحرزه من نصر على صلاح الدين في معركة أرسوف في سبتمبر سنة 1191م، إلا أنه لم ينجح في انتزاع مملكة بيت المقدس من أيدي المسلمين، واضطر إلى عقد معاهدة الرملة مع صلاح الدين، ثم أبحر بعدها

لم تلبث أن عادت السفارة تحمل موافقة الملك الإنجليزي على تقليد ابن أخيه هنري أمر مدينة صور، بينما أبدى عدم موافقته على مسألة الزواج، ناصحًا الكونت بعدم الزواج من أرملة الماركيز حتى لا يكرر الجريمة نفسها التي وقع فيها الماركيز كونراد، "حينما اغتصب زوجة من غير حق بينما زوجها همفري كان لا يزال على قيد الحياة، وإن كرر هنري زواجه من إيزابيلا فيكون قد اقترف هو الآخر جريمة الزنا" [122] .

ورغم نصيحة الملك الإنجليزي إلا أن حاشية الكونت هنري وكذلك الفرنسيين والنورمانديين الموجودين بمدينة صور راحوا يستحثون الكونت على الزواج من إيزابيلا، والذي لم يكن –حسب رواية المؤرخ المجهول– بحاجة إلى إغراء لاتمام تلك الرغبة [123] .

ولما كان عرش المملكة مقرونًا بالزواج من إيزابيلا، فقد سارع هنري دي شامبني في اتمام تلك الزيجة للحد الذى جعله يشرع في الزواج منها على عكس ما تقضي العادات والتقاليد المتبعة في أثناء أسبوع عيد الفصح في أبريل من عام 1192م[124]. كذلك فإن التقاليد كانت تقتضي إنتظار إيزابيلا حتى تضع حملها. ورغم ذلك فإن زواج هنري من إيزابيلا تم في اليوم الثاني من مصرع الماركيز حسب ما ذكره مؤلف ذيل وليم الصوري! [125]. ويبدو أن السبب الذي عجّل بإتمام مراسم الزواج، يرجع إلى البيازنة الموجودين في صور، والذين كانوا قد أقرضوا الماركيز الراحل كونراد مالًا، وخشية أن يضيع عليهم ما أقرضوه، فقد حاولوا الوصول إلى اتفاق مع الملك جاي لوزينيان ملك قبرص، وبعثوا إليه سرًا من يفهمه أنه إذا جاء إلى المملكة أعادوا إليه مدينة صور، غير أن الملك ريتشارد الأول تمكن من القبض على بعض هؤلاء الرسل وأحبط مخططهم[126]، والراجح أن ذلك تسبب في قلق شديد للملك ريتشارد الأول فخشي أن يقوم البيازنة وحليفهم جاي لوزينيان بثورة تطيح بالملكة إيزابيلا عن العرش والاستيلاء على المملكة، لذلك فما إن علم الملك ريتشارد بأمر المؤامرة حتى أسرع بالموافقة على إتمام

عائدًا إلى انجلترا. انظر: محمد مؤنس عوض: معجم أعلام عصر الحرب الصليبية، ص414–415. وللمزيد عنه انظر: زينب عبدالقوي: الإنجليز والحروب الصليبية (1189–1291م)، القاهرة 1996م؛ علي رمضان فاضل: ريتشارد قلب الأسد فارس أوربا الأول، الجيزة 2011م. وانظر أيضًا:

Ambreoise, The Crusade of Richard Heart of Lion, Trans. Hubert (New York 1934).

([122]) المؤرخ المجهول: الحرب الصليبية الثالثة، ج2، ص172–173.

([123]) المؤرخ المجهول: الحرب الصليبية الثالثة، ج2، ص174.

([124]) ذكر صاحب كتاب ذيل وليم الصوري أن مقتل الماركيز كونراد كان في 28 أبريل سنة 1192م . وأن زواج هنري دي شامبني من إيزابيلا أرملة كونراد تم في اليوم التالي أي في 29 أبريل. انظر: ذيل وليم الصوري، ص224–225.

عيد الفصح: مناسبة مسيحية، يصوم فيها المسيحيون صومهم الكبير، ابتداء من الخامس من مارس وحتى الثلاثين من أبريل من كل عام، وكان يُحرم فيها الزواج. انظر:

Baldwin, "The Decline and Fall of the Jerusalem" , in A History of the Crusades. (ed.): by :Setton, (K.M.) and Baldwin (M.W.) (Madison, Milwaukee, and London, 1969), Vol. I, p. 597.

([125]) ذيل وليم الصوري، المصدر السابق، ص224–225.

([126]) ذيل وليم الصوري، المصدر السابق، ص224–225.

زواج إيزابيلا من هنري دي شامبني من أجل مصلحته الخاصة رغم علمه أنها زيجة غير شرعية ليضمن من خلالها ولاء هنري دي شامبني[127]. وبذلك تمت الزيجة غير الشرعية الرابعة في المملكة الصليبية.

لم تغب هذه الحادثة عن فطنة المؤرخين المسلمين وخاصة المعاصرين منهم، فهاهو العماد الكاتب الأصفهاني يستنكر هذه الزيجة في عبارات مختصرة غالية في البلاغة حيث قال: "فما منع الحمل من نكاحها، وذلك أفظع من سفاحها، فقلت لبعض رسلهم: إلى من يُنسب الولد ؟ فقال: يكون ولد الملكة، فانظر إلى استباحة هذه الطائفة المشركة ؟![128].

وعلى هذا النحو بدا واضحًا جُرم ما ارتكبه هنري دي شامبني بحق الأرملة إيزابيلا بزواجه منها ولم تكن قد وضعت حملها بعد، كما يكشف النص السابق بصورة أخرى مدى اهتمام المؤرخين المسلمين وعلى رأسهم المؤرخ النابه العماد الأصفهاني بالشأن الصليبي الداخلي.

على أية حال فقد تم الزواج في حفل مهيب وفي حضور كبار رجال الدين وكذلك لفيف من النورمانديين والفرنسيين، آملين أن تكون صلة القرابة التي تربط هنري بملكي فرنسا وانجلترا سببًا في أن يعم الوئام والوفاق بينهما فتمحى كل أسباب الشقاق والتخاصم، وتكون أيام المملكة القادمة أسعد من كل الأيام التي سلفت[129]. فهل حقًا كانت أيامها أسعد حظًا؟.

تخبرنا المصادر المعاصرة عن الخلافات التي وقعت داخل المملكة الإسمية طيلة فترة حكم هنري دي شامبني، إذ أدت زيجته تلك بأرملة كونراد إلى شقاق بين البيازنة ومناصريهم بمدينة صور واللذين عارضوا زواج هنري دي شامبني من إيزابيلا، وبين بقية أطياف المملكة من النورمانديين والفرنسيين الذين أيدوا هنري دي شامبني وارتضوه زوجًا لإيزابيلا وملكًا عليهم، فقد أقدم هنري على الانتقام من البيزيين لدورهم في المؤامرة ضده، وحين تدخل عموري لوزينيان Amaury de Lusignan (1195–1205م) [130] الشقيق الأكبر لجي لوزينيان ملك قبرص لمصلحتهم، قبض عليه هنري دي شامبني وسجنه، وقد أثار هذا التدبير احتجاج بعض

([127]) بيتر و. إديوري: قبرص والحروب الصليبية، دار المتقى للطباعة والنشر، ط.1، بيروت 1997م، ص48؛ سهير المليجي: المرأة الصليبية ص59. وانظر:

Grousset R., Histoire des Croisades et du Royaume France de Jerusalem , 3 vols., (Paris 1934–6), Vol. III, pp.125–126.

([128]) العماد الكاتب: الفتح القسي، ص307.

([129]) المؤرخ المجهول: الحرب الصليبية الثالثة، ج2، ص174.

([130]) عموري دي لوزنيان أو أمالريك الثاني: فرنسي ولد عام 1155م، تولى حكم قبرص خلفًا لأخيه جي لوزنينان سنة 1194م، ويعد المؤسس الحقيقي لدولة لوزجنان بقبرص، وفي سنة 1198م تم اختياره زوجًا للملكة إيزابيلا أرملة هنري دي شامبني، وبزواجه منها أصبح ملكا على مملكة بيت المقدس الأسمية حتى وفاته سنة 1205 أو 1206م. عنه انظر: بيتر و. إديوري: قبرص والحروب الصليبية، ص48–51؛ سعيد عبدالفتاح عاشور: قبرس والحروب الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط.2، القاهرة 2002م، ص33–38.

الشخصيات البارزة داخل المملكة الصليبية فاضطر هنري دي شامبني إلى الإفراج عن عموري مقابل تخليه عن منصب المسؤول الأمني في المملكة، ثم سمح له بأن يلتحق بشقيقه جي لوزينيان بقبرص[131].

وهكذا يمكن القول إن أغلب السنوات الخمس التي مضت بين زواج هنري دي شامبني من إيزابيلا وتتويجه ملكًا، وبين وفاته كانت مميزة بالصراعات المتواصلة مع مملكة قبرص، فلم ينس عموري لوزينيان ما لقيه من إهانة على يد هنري، وكذلك فإن جي لوزينيان لم يكف عن المطالبة بمملكة بيت المقدس حتى وفاته نهاية سنة 1194م[132].

غير أن القطيعة بين المملكة الصليبية ومملكة قبرص لم تلبث أن انتهت سنة 1196م، فالبرغم من الخلافات بين القوى الأوروبية، فإنها لا تلبث أن تتناساها أو تؤجلها إذا ما لاح الخطر الإسلامي في الأفق. ففي تلك السنة انتهت المهادنة المعقودة بين المسلمين والصليبيين ومن ثم كان حدوث هجوم إسلامي على المملكة المجتزأة أمرًا لا مفر منه، وهو ما دفع هنري دي شامبني إلى طلب التفاهم مع عموري الثاني ملك قبرص، كذلك فإن العديد من الشخصيات الرئيسية في المملكة الصليبية كانت تربطهم صلة قرابة مع أسكيفا إيبيلين زوجة عموري الثاني الأولى، ومن ثم تدخلوا للعمل على رأب الصدع بين هنري وعموري[133].

في عام 1197م أُقنع هنري دي شامبني بزيارة عموري الثاني في قبرص؛ وتفاهم الحاكمان رسميًا، وعقدا تحالفًا اتفقا فيه على أن يتزوج أبناء عموري الثلاثة من زوجته أسكيفا من بنات هنري الثلاث. وكانت المهور مدينة يافا التي وضعت تحت حماية عموري الثاني، ثم أن يتنازل هنري دي شامبني عن المبلغ المتبقي له من شراء قبرص في عام 1192م. وحتى قبل افتراق الحاكمين وصلهما نبأ مهاجمة المسلمين لمدينة يافا، وهنا وجه عموري الثاني قوة عسكرية صغيرة لاستلام مدينة يافا التي كان معلومًا أنها المركز الجنوبي الأبعد في مملكة بيت القدس، هدف الهجوم. ومن خلال الاتفاق السابق؛ ضمن عموري الثاني إلغاء دينه إلى هنري وبذلك أنهى أي ادعاء لحقوق هنري في قبرص. ومن المحتمل أيضًا أنه في ذلك الوقت أُعيد عموري الثاني إلى منصب المسؤول الأمني في المملكة الأسمية؛ ثم إنه نال مدينة يافا، على أن اتفاقيات الزواج لم تسر وفق المُراد كما كان متوقعًا[134].

فالأبناء كلهم كانوا لا يزالون صغارًا بحيث لا يمكن تزويجهم على الفور. كما أن اثنين من أبناء عموري الثاني وواحدة من بنات هنري توفوا في سن الطفولة[135]. ورغم ذلك لا نغفل أن تفاهم عام 1197م كان مهمًا؛ فقد أنهى الصراع الفئوي الذي أساء إلى السياسة اللاتينية القبرصية منذ وصول جي لوزينيان إلى الشرق، كذلك

([131]) عن تفاصيل ذلك النزاع انظر: ذيل وليم الصوري، المصدر السابق، ص224–225؛ المؤرخ المجهول: الحرب الصليبية الثالثة، ج2، ص172–174؛ بيتر و. إديوري: قبرص والحروب الصليبية، ص48–49.

([132]) بيتر و. إديوري: قبرص والحروب الصليبية، ص49.

([133]) بيتر و. إديوري: قبرص والحروب الصليبية، ص52.

([134]) بيتر و. إديوري: قبرص والحروب الصليبية، ص52.

([135]) في عام 1210م تزوج هيو ابن عموري الثاني الذي بقي على قيد الحياة من أليس ابنة هنري. انظر: بيتر و. إديوري: قبرص والحروب الصليبية، ص52.

فقد أُسند وبشكل رسمي إلى حاكم من آل لوزينيان في قبرص أن يدافع عن مدينة يافا ويقف بجانب المملكة الصليبية [136].

على أية حال؛ ففي العاشر من سبتمبر سنة 1197م، وبعد أسابيع قليلة من التفاهم والمصالحة، وقبل وقت قصير من استسلام يافا للمسلمين، سقط هنري دي شامبني من نافذة في الدور الأول وتوفى. ومرة ثانية أصبحت إيزابيلا وريثة القدس أرملة[137].

اللافت للنظر أن زيجتا الملكة إيزابيلا غير الشرعيتين من كونراد دي مونتفرات، ومن بعده هنري دي شامبني تمتا بموافقة كنيسة عكا، لأسباب سياسية بحتة، الأمر الذي يكشف عن حقيقة مفاداها أن المجتمع الصليبي كان يتم فيه تقديم المصالح السياسية على القوانين الكنسية. كذلك كان للزيجتين آثار سلبية أدت إلى زعزعة استقرار المملكة الأسمية وساهمت في إضعافها.

زواج عموري دي لوزينيان من الملكة إيزابيلا

بعد وفاة هنري دي شامبني في سبتمبر سنة 1197م[138]، اتفق بارونات المملكة والداوية والإسبتارية على ضرورة زواج الملكة إيزابيلا مرة أخرى بزوج جديد رابع، يستطيع قيادة البلاد إلى بر الأمان. وقد انقسم الرأي في المملكة ما بين مؤيد لسنكال المملكة رالف الطبراني Ralph of Tiberias كزوج للأرملة إيزابيلا، وبين مؤيد لزواجها من الملك عموري الثاني ملك قبرص الذي كانت زوجته أسكيفا قد ماتت مؤخرًا[139]. وكان الرأي الثاني يؤيده عسكر المملكة، والصليبيون الألمان الذين وصلوا إلى الشرق بعد وقت قصير من وفاة هنري دي شامبني، ومستشار القدس، ورئيس الأساقفة جوسيوس الصوري Joscius of Tyre. وقد مثّل عموري الثاني في نظر أصحاب الرأي الثاني الحاكم القادر على تحمل المسؤولية، وانتشال البلاد من وضعها الاقتصادي المتردي، وبالتالي أرسل كبار بارونات المملكة في طلب عموري كي يناقشوا معه مسألة زواجه من إيزابيلا، وعرض تاج مملكة بيت المقدس عليه[140].

([136]) بيتر و. إديوري: قبرص والحروب الصليبية، ص52-53.

([137]) بيتر و. إديوري: قبرص والحروب الصليبية، ص53.

([138]) Ernoul, Chronique, pp.306.

وانظر: سهير المليجي المرأة الصليبية، ص61-62.

([139]) Ernoul, Chronique, pp.308-309.

وانظر: بيتر و. إديوري: قبرص والحروب الصليبية، ص53.

([140]) Ernoul, Chronique, pp.309-311.

وانظر: سعيد عبدالفتاح عاشور: قبرس والحروب الصليبية، ص37 ؛ بيتر و. إديوري: قبرص والحروب الصليبية، ص53؛ سهير المليجي المرأة الصليبية، ص63-64.

كانت موارد قبرص تجعل من عموري مرشحًا قويًا ومرموقًا في أعين أولئك الذين كانوا يتطلعون إلى من يستطيع أن يأتي بتعزيزات للدفاع عن الشرق[141]. كذلك فإن قيام مملكة لوزجنان بقبرص؛ إلى جانب مملكة بيت المقدس سيجعل للفكرة الصليبية بالشرق ركنين تستند إليهما بعد أن قلت الأمداد الأوروبية عن الصليبيين[142]، كما أن مملكة بيت المقدس كانت محط أنظار ملوك لوزجنان بقبرص، وفي تاريخ آل لوزجنان ما يدل دلالة واضحة على ذلك[143]، وفوق ذلك فقد أيد البابا إنوسنت الثالث **Innocent III** (1198–1216م) [144] فكرة الإتحاد بين تاجي قبرص وبيت المقدس، ورأى الإمبراطور الألماني فريدريك الثاني **Frederick II** (1197–1250م) [145] في تتويج تابعه عموري لوزينيان ملكًا على بيت المقدس فرصة جديدة لتحقيق أحلام الإمبراطورية

([141]) بيتر و. إديوري: قبرص والحروب الصليبية، ص53.

([142]) سعيد عاشور: قبرس والحروب الصليبية، ص36.

([143]) قبرص والحروب الصليبية، ص53.

([144]) البابا إنوسنت الثالث: هو أوتاربودي كنتي **Lotariodi conti** ، ولد سنة 1161م على أرجح الأقوال بمدينة أناني الإيطالية **Anagni** ، وهو ابن كونت سيني **Segni** ، اتصف بجميع المزايا التي يمتاز بها أبناء الأشراف ممن نالوا قسطًا كبيرًا من الثقافة، درس الفلسفة واللاهوت في باريس، والقانون الكنسي في بولونيا **Bologna**، ترقى سريعًا في المناصب الكنسية، حتى وصل لمنصب البابوية في الثامن من يناير سنة 1198م وهو في السابعة والثلاثين من عمره خلفًا للبابا كليستين الثالث، وظل في منصب البابوية حتى وفاته في 16 يوليو سنة 1216م. انظر:

Kelly, **op. cit.**, **pp.186–188.**

وللمزيد عنه انظر:

Cheney, **Christopher R.** "**The Letters of Pope Innocent III.**" **Bulletin of the John Rylands Library 35** (1952–1953),**pp. 23–43 ; Bolton**, **Brenda M.**,"**A Show with a Meaning**: **Innocent III's Approach to the Fourth Lateran Council**, 1215." **Medieval History 1** (1991), **pp. 53–67; Foreville**, **Raymonde**, **Le Pape Innocent III et la France. Stuttgart**, 1992 **; Sayers**, **Jane. Innocent III: Leader of Europe 1198–1216. London**, 1994 **; Clarke**, **Peter D.** "**Innocent III**, **Canon Law and the Punishment of the Guiltless.**" **In Pope Innocent III and His World**, **pp. 271–285.**

([145]) فريدريك الثاني: ولد فريدريك الثاني سنة 1194م من أب ألماني هو هنري السادس **Henry VI** وأم إيطالية هي الأميرة كونستانس **Constance** ووريثة صقلية، نشأة وتربى وتعلم في صقلية، وهي الجزيرة التي كانت في العصور الوسطى بحكم موقعها وتاريخها ملتقى الحضارات العربية الإسلامية والبيزنطية اليونانية والرومانية اللاتينية، فنشأ فيلسوفًا محبًا للعلم، تولى فريدريك الثاني حكم صقلية، ثم أصبح إمبراطورًا للإمبراطورية الرومانية المقدسة سنة1220م، وظل إمبراطورًا لها حتى وفاته سنة 1250م. انظر: سعيد عبدالفتاح عاشور:"الإمبراطور فردريك الثاني والشرق العربي"، المجلة التاريخية المصرية، مج11، القاهرة 1963م، ص196–197؛ فايزة عبدالرحمن حجازي: "العلاقات الدبلوماسية بين الملك الكامل (635 – 615 هـ / 1218 م–1238م و فريدريك الثاني 648 – 594 هـ / 1250 – 1197 م)

العالمية. وهكذا تحالفت كل الظروف السياسية لإتمام الحالة السادسة من حالات الزواج غير الشرعي داخل المملكة الصليبية بين عموري الثاني ملك قبرص والملكة إيزابيلا، وتمت الزيجة على يد البطريرك إيمري الراهب Aimery The Monk بطريرك بيت المقدس في سنة 1198م قبل أن تنتهي فترة حداد إيزابيلا [146].

يرجع سبب عدم شرعية تلك الزيجة إلى مخالفتها للقوانين الكنسية المعمول بها آنذاك، والتي تقضي بإلزام الأرملة بفترة حداد مدتها عام من وفاة زوجها[147] فحسبما ورد في المصادر المعاصرة كانت وفاة هنري دي شامبني في سبتمبر 1197م، وكان زواج عموري لوزينيان من إيزابيلا في أبريل سنة 1198م[148] ، وهو ما يعني أنه لم يمر على وفاة هنري دي شامبني عند زواج أرملته سوى سبعة أشهر فقط. وقد أبدى بطريرك بيت المقدس معارضته لتلك الزيجة غير الشرعية في البداية ، ثم عاد فغير رأيه، بل وتمت الزيجة على يديه[149]، والراجح أن الكنيسة غضت الطرف عن هذه الزيجة غير الشرعية، بل وساعدت في اتمامها تحت تأثير رشوة تلقاها رئيس أساقفة صور الداعم لتلك الزيجة، مُنح على إثرها عقارًا في قبرص في نوفمبر 1197م ربما تقديرًا لجهودة في تمرير تلك الزيجة المخالفة للقوانين الكنسية[150]. أو ربما خوفًا على مصير المملكة، خاصة وأن الأمور بعد وفاة هنري دي شامبني بدأت تفلت من يد أرملته إيزابيلا، فأخفقت في إدارة شئون المملكة، كما فشلت في التصدي للجيش

من خلال المصادر الإسلامية، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، مج 12، عدد 1، 2015م، ص4–5. وللمزيد عن فريدريك الثاني انظر: هايل مضفي هلال البري: "السياسة الخارجية للإمبراطورية الرومانية المقدسة في عهد الإمبراطور فردريك الثاني 1212–1250م/609–648هـ"، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب–جامعة اليرموك، اربد 2004م.

(146) L' Estoire de Eracles, in RHC., Occ., Vol., II. P.376.

سعيد عاشور: قبرس والحروب الصليبية، ص36؛ سهير المليجي المرأة الصليبية، ص63–64؛ هاني زحير: أثر الزيجات السياسية، ص159.

(147) Joëlle Beaucamp, La situation juridique de la femme à Byzance, Cahiers de Civilisation Médiévale , 20, 1977 , p.159.

يحدد القانون الكنسي الحديث فترة حداد المرأة بتسعة أشهر. انظر: الايغومانوس فيلوساوس: الخلاصة القانونية، ص14.

(148) Ernoul, Chronique, pp.306.

وانظر: سهير المليجي المرأة الصليبية، ص61–62.

(149) بيتر و. إديوري: قبرص والحروب الصليبية، ص54.

(150) Par M. L. De Mas Latrie, *Histoire* de l'île de Chypre sous le règne des princes de la maison de Lusignan, A L'Imprimerie Imperiale (Paris 1855), Vol. III, PP. 606–607.

وانظر: بيتر و. إديوري: قبرص والحروب الصليبية، ص54.

الإسلامي الذي زحف بقوة نحو مدينة يافا واستولى علي قلعتها وبات يشكل خطرًا على مملكة بيت المقدس الأسمية نفسها[151].

والسؤال المطروح ماذا قدمت تلك الزيجة للمملكة الصليبية؟ . يرى البعض أن أحوال الصليبيين تحسنت خلال حكم عموري الثاني والذي كان غالب عهده سلام. فقد جدد الهدنة مع المسلمين في يوليو عام 1198م لمدة خمس سنوات وثمانية أشهر. ومع انتهاء الهدنة كان هناك نزاع محدود، في صورة غارة بحرية شنها الملك عموري الثاني على المسلمين سنة 1204م؛ وفي سبتمبر من هذا العام أُعيد تجديد الهدنة لست سنوات، استغلها عموري الثاني في التخلص من منافسه رالف الطبراني، حيث قاد الأخير مؤامرة هدفها اغتيال عموري الثاني، لكن المؤامرة تم اكتشافها، وعلى إثرها قام الملك عموري الثاني بنفي رالف خارج المملكة[152]. وفريق آخر يرى أن قيام وحدة بين المملكة الصليبية وقبرص أضعف المملكة الصليبية بشكل غير مباشر، إذ أن كثير من الأمراء الصليبيين فضلوا – بعد قيام هذه الوحدة – الرحيل إلى قبرص عاصمتهم الجديدة الآمنة البعيدة عن هجمات المسلمين المتكررة على سواحل الشام[153].

على أية حال؛ فقد عجز عموري الثاني عن تأسيس حكم لأسرته لوزجنان في المملكة الصليبية، فعموري ابنه الوحيد من إيزابيلا مات في فبراير سنة 1205م، وبعد بشهرين من العام نفسه مات الأب عموري الثاني ولحقت به إيزابيلا بعد وقت قصير، وانتقل تاج المملكة إلى ابنتها الكبرى ماريه، التي يرى المؤرخ إديبوري أنها ابنتها من زوجها كونراد مونتيفرات[154]. في حين يرى المؤرخ سعيد عاشور أنها بنتها من هنري دي شامبني[155].

وهكذا، يتضح أن إيزابيلا تزوجت أربع مرات متتالية، منها ثلاث زيجات غير شرعية، ولو عقدنا مقارنة بين الحالات الثلاث تلك، لأمكن القول إنهم اتفقوا في كونهم حالات غير شرعية حسب وصف المصادر المعاصرة، وأن الكنيسة تواطئت في تمرير الحالات الثلاثة رغم يقينها أنها زيجات غير شرعية. على نحو كشف عن الفساد الذي أصاب المؤسسة الكنسية، لمخالفتها القانون الكنسي، وخضوعها لرغبات الملوك والأمراء. أما عن أوجه الاختلاف بين الحالات الست، فيلاحظ أن الحالات الثلاث التي حدثت قبل معركة حطِّين، وأعني بها حالة زواج بلدوين الأول من أديلاد، وزيجة عموري الأول من آجنيس، وزيجة آجنيس من رينالد سيد صيدا، لم تفطن إليها المصادر الإسلامية المعاصرة. في حين فطنت المصادر الإسلامية للحالات الثلاث التي حدثت بعد حطِّين، وهي زيجات إيزابيلا من كونراد دي مونتفيرات، وهنري دي شامبني، إيميري دي لوزنيان. ولعل تفسير ذلك يعود إلى ظهور مؤرخين مسلمين أكثر اهتمامًا بالشأن الصليبي الداخلي في صورة العماد الكاتب وابن شداد وابن الأثير وغيرهم.

([151]) سهير المليجي المرأة الصليبية، ص61–62. وانظر:

Ernoul, **Chronique**, **p.309**.

([152]) بيتر و. إديوري: قبرص والحروب الصليبية، ص54–55.

([153]) هاني زحير: أثر الزيجات السياسية، ص 161.

([154]) بيتر و. إديوري: قبرص والحروب الصليبية، ص55.

([155]) سعيد عاشور: قبرس والحروب الصليبية، ص38.

النتائج

توصل البحث إلى عدة نتائج أمكن اجمالها في الآتي:

أولًا: يعد الزواج في المسيحية السر السادس من أسرارها السبعة المقدسة، فهو "سر يتم به اتحاد رجل وامرأة تحل له شرعًا، ليتعاونا على الحياة الزوجية، وإنجاب الأولاد وتربيتهم، وحمل أعباء العائلة. ونظرًا لأهمية الزواج تلك، فقد وضعته الكنيسة تحت رعايتها، وسنّت له من القوانين ما ينظمه وفق أسس ثابتة وقويمة، فحرصت على وضع حد فاصل بين الزيجات الشرعية وغير الشرعية. وذكر قانونها ثبتًا طويلًا من "موانع الزواج"، والتي يمكن تقسيمها إلى موانع مؤبدة مثل موانع القرابة الدموية، سواء كانت قرابة طبيعية، أم قرابة روحية، أم قرابة وضعية، أم قرابة زوجية، كما تشمل الموانع المؤبدة، الموانع الشخصية، والتي تتعلق بكل ما يمنع من الاجتماع التناسلي، فلا يجوز تزويج الخنثى، والخصي، والمصاب بالجذام والبرص، كما تشمل أيضًا، التبني، والتعدد، والكهنوت. فإذا جرى تزويج أي حالة من الحالات السابقة أضحى الزواج غير شرعي ولا يعول عليه. أما الموانع المؤقتة أو الطارئة، والتي يرتبط وجودها بوجود أسبابها العرضية وتزول بزوالها فمنها: الاختلاف في الدين، والإكراه، والعجز الجنسي، والولاية.

ثانيًا: برغم التشريعات الكنسية السابقة فقد رصدت الدراسة ست حالات لزيجات غير شرعية داخل مملكة بيت المقدس خلال الفترة الممتدة ما بين سنة 1113م وسنة 1198م، تم فيها خرق القانون الكنسي، هي على الترتيب: زيجة الملك بلدوين الأول من الكونتيسة أديلاد سنة 1113م، وزيجة الملك عموري الأول من الكونتيسة آجنيس كورتيناي سنة 1157م، وزيجة الكونتيسة آجنيس من رينالد صاحب صيدا حوالي سنة 1160م، وزيجة الماركيز كونراد دي مونتفرات من الملكة إيزابيلا سنة 1190م، وزيجة هنري دي شامبني من إيزابيلا سنة 1192م، وزيجة إيميري لوزنيان من إيزابيلا سنة 1198م. وقد أجمعت المصادر على أنها زيجات غير شرعية.

ثالثًا: بدراسة الحالات الست السابقة اتضح أن الكنيسة كانت تتغاضى عن بعض الزيجات غير الشرعية، مثلما كانت تتغاضى عن كثير من الثغرات الأخرى بين الحقيقة والقانون، ومن ذلك دعمها لزيجة الملك بلدوين الأول غير الشرعية، ودورها في فسخ زيجة همفري دي تورون وإيزابيلا الشرعية، لتعقد بديلًا عنها زيجة غير شرعية بين كونراد دي مونتفرات وإيزابيلا، كذلك فقد تغاضت الكنيسة أيضًا عن زيجة هنري دي شامبني وإيزابيلا رغم عدم شرعيتها، كما أنها تدخلت لإتمام زيجة أخرى تخالف القانون الكنسي في صورة زيجة إيميري لوزنيان من الملكة إيزابيلا على نحو يكشف عن فساد المؤسسة الكنسية آنذاك.

رابعًا: رغم أن مسألة الزواج مسألة اجتماعية– دينية بحتة إلا أنه تم استخدامها في حالات كثيرة، للتخلص من بعض الخصوم السياسيين، أو لتحقيق مصالح شخصية ضيقة، مثلما حدث في حالة آجنيس كورتيناي، حيث تزايدت مخاوف البارونات أعضاء المحكمة العليا من آجنيس إن أصبحت ملكة، وخافوا أن تستعمل سلطتها فى تفضيل النبلاء المنفيين الذين صاروا بدون إقطاعيات وجاءوا إلى القدس من مقاطعة أبيها الرها على أعضاء المحكمة العليا. ومن ثم توفرت أسباب العداء بين أعضاء المحكمة العليا وبين آجنيس كورتيناي. والراجح أن كبار بارونات المملكة ورجال الدين وجدوا في زيجة عموري الأول غير الشرعية سلاحًا أمكن استخدامه في التخلص من آجنيس بإبعادها عن الوصول لكرسي الحكم كشريكة لزوجها. كذلك، فعندما أراد

الماركيز كونراد دي مونتفرات الوصول للعرش الملكي لم يجد سبيلًا غير الادعاء بأن زواج همفري دي تورون من ايزابيلا زواجًا غير شرعي تحرمه الكنيسة، تمهيدًا لفصل همفري دي تورون عن زوجته وريثة العرش الملكي، واقتران الماركيز بها. كذلك رأينا موافقة ريتشارد قلب الأسد على زواج هنري دي شامبني من إيزابيلا رغم اعتراضه السابق على تلك الزيجة غير الشرعية، حتى يضمن ولاء وتبعية هنري دي شامبني له.

خامسًا: كان لبعض هذه الزيجات أثرًا سلبيًا على المملكة الصليبية، حيث ساهمت في خلخلة النظام الداخلي ومهدت لسقوط المملكة داخليًا قبل أن تسقط خارجيًا على يد المسلمين. فالزيجة الأولى تسببت في قطيعة بين مملكة بيت المقدس ومملكة صقلية في وقت كانت المملكة فيه بحاجة إلى ظهير خارجي يدعم موقفها الهش أمام هجمات المسلمين. كذلك فإن زيجة آجنيس كورتيناي من عموري الأول كانت لها آثار سلبية أفضت إلى زعزعة الاستقرار الداخلي لمملكة بيت المقدس من خلال تدخلها في شئون حكم ابنها الملك بلدوين الرابع، وتأثيرها الفاسد على ابنتها الملكة سيبيلا. ولا نغفل أيضًا أن زيجة كونراد دي مونتيفرات من إيزابيلا أدت إلى حدوث صدع داخل المملكة الأسمية، فانقسمت المملكة بين مؤيد لتلك الزيجة ومعارض لها، ولم تنته الأزمة داخل المملكة إلا بمقتل كونراد دي مونتفرات نفسه، ولا يخفى علينا أيضًا ما أحدثه زواج هنري دي شامبني من إيزابيلا والذي أفضى إلى وجود نزاع داخل المملكة بين البيازنة الموجودين في صور، أولئك الذين عارضوا زيجة هنري دي شامبني، وبين الفرنسيين والإنجليز الذين أيدوا تلك الزيجة. ومحاولة البيازنة الوصول إلى اتفاق مع الملك جاي لوزنيان بقبرص، ليسلموه مدينة صور، لولا تمكن الملك ريتشارد قلب الأسد من القبض على بعض هؤلاء الرسل وإحباط مخططهم.

وهكذا يمكن القول إن تلك الزيجات غير الشرعية كان لها أثر سلبي على مستقبل مملكة بيت المقدس أفضى إلى زعزعة استقرارها، وانقسامها على نفسها في أكثر اللحظات حرجًا من تاريخها.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأجنبية

- **Albert d' Aix, in R.H.C. Hist. T. IV, Paris, 1879.**
- **Ernoul, Le Chronique, (Paris 1871).**
- **Guibert of Nogent, The Deeds of God through the Franks, (Blackmask Online 2002).**
- **Kinnamos, Deeds of John and Manuel Comnenus, trans. by Charles Brand, (New York, Columbia University Press 1976).**
- **L'Estoire d'Eracles et La Conquest de la Terre d'Outremer, RHC. Occ. Tome II, (Paris 1859).**
- **Roger of Wondover, Flower of History, Trans. By Gilles J. A. , vol. II, (London 1849).**

ثانياً:المصادر العربية والمعربة.

- **أمبرواز: صليبية ريتشارد، ضمن كتاب الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج32، تأليف وتحقيق وترجمة: سهيل زكار، دار الفكر، د. دمشق 1998م.**
- **جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشرى، أساس البلاغة، تقديم: محمود فهمي حجازي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط.القاهرة 2003م.**
- **العماد الدين الكاتب الأصفهاني(مُحَمَّد بن مُحَمَّد ت 597هـ/1201م): الفتح القسي في الفتح القدسي – حروب صلاح الدين وفتح بيت المقدس، ط.1، دار المنار، 2004م.**
- **فوشيه الشارتري: الوجود الصليبي في الشرق العربي(الاستيطان الصليبي في فلسطين) ترجمة: ودراسة قاسم عبده قاسم، منشورات ذات السلاسل، ط.الكويت 1413هـ/1993م.**
- **مجهول (فارس صليبي في جيش بوهيموند الأول عاصر القرن 5هـ/11م): أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمه وقدم له وعلق عليه حسن حبشي، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ت).**
- **مجهول: ذيل وليم الصوري، ترجمة: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط.القاهرة 2002م.**
- **وليم الصوري: الحروب الصليبية، ترجمة: حسن حبشي،4 أجزاء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط.القاهرة 1991–1995م.**

❖ رابعاً: المراجع الأجنبية.

- **Baldwin, M.W., "The Decline and Fall of Jerusalem, 1174–1189", (ed.) Setton, vol.I, pp.590–621.**
- **----------"The Latin States under Baldwin III and Amalric I, 1143–1174", (ed.) Setton, vol.I, pp.528–561.**

- **Barker D., "Women in The Crusader States: *The Queens of Jerusalem 1100–1190)",* In : Crusaders, Cathars and The Holy Places, ed. By Hamilton P., Ashgate Publishing 2000, pp.143–174.**
- **Brundage James A., "Marriage Law in the Latin Kingdom of Jerusalem" in: The Crusades, Holy War, and Canon law, ed., James A. Brundage, Routledge; 1 edition (USA 1991).**
- **David L. D' Avray, Medieval Marriage Symbolism and Society (Oxford 2005) – Edbury, Peter W., "John of Ibelin and the Kingdom of Jerusalem" , in: J. R. A. S., Third Series, vol., 9, Part 1, April 1999, (Cambridge University Press 1999).**
- **----------"The Titular Nobility of The Latin East: The Case of Agnes of Courtenay" in: Crusaders, Cathars and the Holy Places, (ed.) by: Bernard Hamilton, Ashgate,(London 2000), pp.197–203.**
- **Eileen Power, Medieval People, Cambridge 1924.**
- **Emilie Amt ,Women's Lives in Medieval Europe. A Sourcebook. (New York–London: Routledge, 1993).**
- **Fink (H.), "The Foundation of The Latin States 1100–1118", in Setton. A History of the Crusades, vol. I, (Madison 1969), pp. 368–409.**
- **Grousset R., Histoire des Croisades et du Royaume France de Jerusalem , 3 vols., (Paris 1934–6).**
- **Hamilton, B., *The Latin Church in the Crusader States*, (London 1980).**
- **----------*The Leper King and His Heirs, Baldwin IV and the Crusader Kingdom of Jerusalem*, (Cambridge: Cambridge University Press, 2000).**
- **Kelly, Dictionary of Popes, (New york 1996).**
- **La Monte, J.L.," The Lords of Sidon in The Twelfth and Thirteenth Centuries, in: Byzantion, Vol. 17 (1944–1945), pp.183–211.**

- **----------*Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem,* Cambridge, The Mediaeval Academy of America, (1932, reprint: New York, Kraus 1970).**
- **Lilie, R.J., *Byzantium and the Crusader States 1096–1204*, Studies in the Relations of the Byzantine Empire With the Crusader States in Syria and Palestine, Trans. by J.C.Morris and J. E. Ridings, (Oxford 1993).**
- **Micheal W. Dols, The Leper in Medieval Islamic Society, Spec., Vol. 58, No.4 (Oct., 1983), pp.491–916.**
- **Mayer, H.E., "The Beginning of King Amalric of Jerusalem", in The Horns of Hattin (Yad Izhak Ben Zvi and Variorum 1992), pp.121–135.**
- **Par M. L. De Mas Latrie, *Histoire* de l'île de Chypre sous le règne des princes de la maison de Lusignan, A L'Imprimerie Imperiale (Paris 1855).**
- **Piers Paul Read, *The Templars*, (London 1999).**
- **Schlumberger Gustave, Renaud de Chatillon, Prince d' Antioche , seigneur de la terre d'outre–Jourdain, Librairie Plon, (Paris 1923).**
- **Stevenson (W. B.), *The Crusaders in the East* , (Cambridge 1907).**
- **Zenab El Gothamy and Abdalla M. Attia, "Leprosy ", in Fundamentals of Dermatology, Andrology, Sexology and Sexually Transmitted Diseases , (Cairo 2004).**

خامساً:المراجع العربية والمعربة.

- **إبراهيم خميس إبراهيم سلامه (دكتور): "أهم الزيجات السياسية عند الصليبيين في القرن الثاني عشر الميلادي/السادس الهجري، ضمن كتاب محمود سعيد عمران و آخران: دراسات في حضارة ونظم أوربا في العصور الوسطى، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية 2002م.**
- **أحمد عبدالله أحمد (دكتور): الجرائم والعقوبات في المجتمع الصليبي في بلاد الشام في القرن 6–7هـ/ 12–13م، دار الآفاق العربية، ط.1، القاهرة 2016م.**
- **أسامه زكي زيد (دكتور): ملكات بيت المقدس فى القرن الثاني عشر الميلادي (السادس الهجري)، مجلة كلية الآداب– جامعة طنطا ، العدد الثامن ، يناير 1995.**

- إسمت غنيم (دكتور): "زواج التحالف في العصور الوسطى"، ضمن كتاب: دراسات في تاريخ إمبراطورية نيقية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1991م.
- أميرة مصطفي يوسف (دكتور): "السياسة الداخلية والخارجية لأرناط حاكم الكرك خلال المرحلة من 1177–1187م" ضمن كتاب: الصليبيون في الشرق بحوث لتكريم المؤرخة الراحلة الأستاذة الدكتورة علية الجنزوري، تحرير أ.د/مُحَمَّد مؤنس عوض ، ط. مكتبة الآداب ، القاهرة 2013م.
- الايغومانوس فيلوساوس: الخلاصة القانونية في الأحوال الشخصية، مطبعة التوفيق، ط.القاهرة 1896م
- باركر، إرنست (دكتور): الحروب الصليبية، نقله إلى العربية السيد الباز العريني، مكتبة النهضة المصرية، ط.القاهرة 1960م.
- بردج، أنتوني (دكتور): تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: أحمد غسان سبانو، نبيل الجنزوري، مراجعة وتقديم سهيل زكار، ط.دمشق 1985م.
- بيتر و. إديوري (دكتور): قبرص والحروب الصليبية، دار المتقى للطباعة والنشر، ط.1، بيروت 1997م.
- حبيب جرجس: أسرار الكنيسة السبعة، مكتبة المحبة، الطبعة الرابعة، القاهرة ، ب–ت.
- حجازي عبد المنعم سليمان(دكتور): السياسة الخارجية لمملكة بيت المقدس عهد الملك عموري الأول (1163–1174م/558–569هـ)، دار الآفاق العربية، ط.القاهرة 2014م.
- رانسمان، ستيفن (دكتور): تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: السيد الباز العريني، 5أجزاء،ط. بيروت1993م.
- سعيد عبدالفتاح عاشور (دكتور): "الإمبراطور فردريك الثاني والشرق العربي"، المجلة التاريخية المصرية، مج11، القاهرة 1963م.
- .....: الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، ط.2، القاهرة 1971م.
- عبد الحفيظ مُحَمَّد علي (دكتور): مشكلات الوراثة فى مملكة بيت المقدس وأثرها على تاريخ الحركة الصليبية "1131–1187م"، دار النهضة العربية، ط.القاهرة 1984م.
- عبدالعزيز رمضان (دكتور): المرأة والمجتمع في الإمبراطورية البيزنطية، مصر العربية للنشر والتوزيع، ط.القاهرة 2005م.
- عثمان عبدالحميد عشري (دكتور): الإسماعيليون في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية (491–691هـ/1097–1290م)، كلية الآداب جامعة القاهرة بالخرطوم 1983م.
- علي أحمد مُحَمَّد السيد (دكتور): همفري الرابع سيد تبنين ودوره في الحركة الصليبية، مجلة المؤرخ المصري دراسات وبحوث في التاريخ والحضارة، العدد (33)، كلية الآداب–جامعة القاهرة، يوليو 2008م.
- فايزة عبدالرحمن حجازي (دكتور): "العلاقات الدبلوماسية بين الملك الكامل 635 – 615 هـ / 1218م–1238م و فريدريك الثاني 648 – 594 هـ / 1250 – 1197 م من خلال المصادر الإسلامية، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، مج , 12 ع1 ، 2015م.

- قاسم عبده قاسم (دكتور): الحملة الصليبية الأولى، نصوص ووثائق تاريخية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط.القاهرة 2001م.
- مارشال بلدوين(دكتور): اضمحلال وسقوط بيت المقدس 1174–1189م، ترجمة وتعليق سعيد البيشاوي، ضمن كتاب "تاريخ الحروب الصليبية، تحرير: مُحَمَّد مؤنس عوض و سعيد البيشاوي، منشورات بيت المقدس، رام الله 2004م، ج1، ص260.
- ماير هانز (دكتور): تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة: مُحَمَّد فتحي الشاعر، ط.القاهرة 1999م.
- مُحَمَّد مؤنس أحمد عوض (دكتور): الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب في القرنين 12–13م/6–7هـ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط.القاهرة 1999/2000م.
- -------- معجم أعلام عصر الحروب الصليبية في الشرق والغرب، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى ، القاهرة 2015م.
- هسي (دكتور): العالم البيزنطي، ترجمة: رأفت عبد الحميد، ط.القاهرة 1984م.
- ول ديورانت: قصة الحضارة ، ترجمة مُحَمَّد بدران، مج16، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. القاهرة2001م.

خامسًا: الرسائل العلمية العربية.

- سرور على عبد المنعم (دكتور): السياسة الداخلية والخارجية لمملكة بيت المقدس فى عهد الملك فولك الأنجوي 1131–1143م/526–538هـ ، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية بنات عين شمس عام 2000م.
- رحاب أحمد عبدالرشيد (دكتور): مسألة وراثة عرش مملكة بيت المقدس الصليبية (1099–1291م)، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب– جامعة الإسكندرية عام 2008م
- سهير مُحَمَّد المليجى (دكتور): المرأة الصليبية فى بلاد الشام (1098–1268م) ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية بنات عين شمس عام 2002م.
- علاء رجب مُحَمَّد إبراهيم النحاس: دور أسرة مونفرات في الصراع الصليبي الإسلامي في الشرق الأدني الإسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة دمنهور عام 2014م.
- هاني مهدي راتب زحير (دكتور): "الزيجات السياسية لدى الصليبيين في بلاد الشام وأطراف العراق وأثرها على الحركة الصليبية في الشرق"، رسالة ماجستير، كلية الآداب – جامعة عين شمس عام 2004م.
- ياسر كامل محمود (دكتور): مملكة بيت المقدس في عهد الملك بلدوين الرابع (1174–1185م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب –جامعة أسيوط عام 2008م.

سادسًا: الرسائل العلمية الأجنبية.

– Heli Lähteelä, Unwanted Husbands and Adultery: Medieval Marriage in the Twelfth-Century Tristan and Isolde Legend, thesis

submitted in partial fulfillment of the requirements of the degree of Bachelor of Arts (Hons) in History, (**University of Sydney 2006**).